سلسلة لقاءات

التّشويق إلى الجنّة

[١٤] حلقة أُلقيت في رمضان ١٤٣٨هـ

قدّمتها

الأستاذة أناهيد بنت عيد السميري

بسم الله الرّحمن الرّحيم

أخواتنا الفاضلات، إليكنّ سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامّة:

- منهجنا الكتاب والسّنّة على فهم السّلف الصّالح.

- هذه التّفاريغ من اجتهاد الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.

- الكمال لله -عزَّ وجلَّ- فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

"التّشويق إلى الجنّة"

"في الشّريعة وُجّهنا إلى طلب الجنّة، وإذا كان هذا من الطّاعة ومن القُربة فلا بدّ أن يكون في القلب تعلّقٌ بهذا الطّلب؛ لأنّ الإنسان يُكثر الطّلب على حسب ما يتعلّق قلبه، وبسبب جهلها وجهل ما فيها من نعيم قلّ طلبنا للجنّة وقلّ انشغالنا بها وقلّ تفكيرنا فيها، وإن كنّا نؤمن إجمالًا بأنّها الدّار الّتي هي مأوى المؤمنين لكنّنا لم نُحسن لأنفسنا بمعرفة التّفاصيل الّتي تدفعنا إلى الشّوق إلى هذه الدّار الّتي قد عرّفنا الله بها وسمّاها لنا وخلقها فهي موجودة الآن، عرّفنا بمكانها، وعرّفنا بمفتاحها، وعرّفنا بنعيمها."

الأستاذة أناهيد بنت عيد السميري

_ حفظها الله وأحسن إليها _

بسم الله الرّحمن الرّحيم

تضمّنت سلسلة لقاءات "التّشويق إلى الجنّة" مدخلًا للتّمهيد، ومبحثين، وخاتمة:

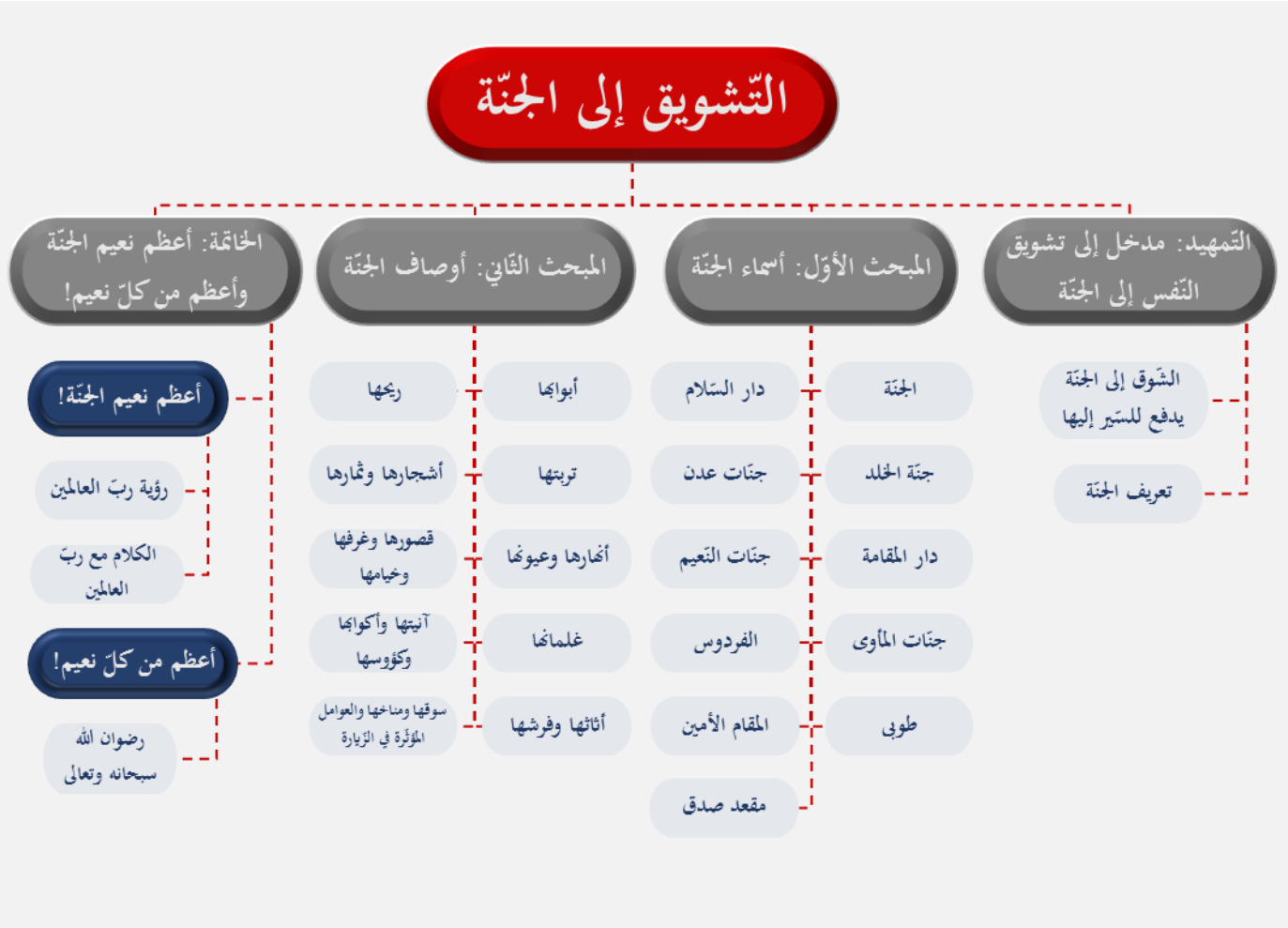

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا وكلّ مَن نحبّ في تلك الدّار العظيمة،

الّتي أعظم النّعيم فيها رؤيته، وأكبر العطايا رضوانه، وخير ما يُنتظر لقاؤه!

اللّقاء الأوّل

التّمهيد

مدخل إلى تشويق النّفس إلى الجنّة

أوّلًا: الشّوق إلى الجنّة يدفع للسّير إليها

ثانيًا: تعريف الجنّة

المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الاسم الأوّل: "الجنّة"

الاسم الثّاني: "دار السّلام"

التّمهيد

مدخل إلى تشويق النّفس إلى الجنّة

أوّلًا: الشّوق إلى الجنّة يدفع للسّير إليها

ثانيًا: تعريف الجنّة

بسم الله الرّحمن الرّحيم

التّمهيد: مدخل إلى تشويق النّفس إلى الجنّة

السّلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل هذه السّلسلة من السّلاسل المباركة الّتي تُفضي بنا إلى ما نشتاق إليه وهو "جنّات النّعيم"، فإنّ الجنّة هي مطلب المؤمنين، وأمل الصّادقين، ورجاء المتّقين.

أوّلًا: الشّوق إلى الجنّة يدفع للسّير إليها

أخرج الإمام أحمد وأبو داوود رحمهما الله، من حديث الأعمش أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال لِرَجُلٍ: ((كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ))، قَالَ: أَتَشَهَّدُ وَأَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ))[1]. يقصد بذلك -صلّى الله عليه وسلّم- أنّ دعاءنا حول الجنّة.

وقد بوَّب ابن حبّان على هذا الحديث: ((باب ذكر ما يجب أن يكون قصد المرء في جوامع دعائه)) فهي من جوامع الدّعاء لأنّ مقصود الدّاعين أن يلحقوا بربّهم وهو راضٍ عنهم فيُدخلهم "جنّات النّعيم"، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أمرنا إذا سألنا ربّنا أن نسأله "الفردوس الأعلى" الّذي هو أعلى الجنّة، فهذا بالنّسبة للمؤمنين مطلب؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ، وَأَعْلَى الجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ

(١) سنن أبي داود (أَبْوَابُ تَفْرِيعِ اسْتِفْتَاحِ الصَّلَاةِ، بَابٌ فِي تَخْفِيفِ الصَّلَاةِ، ٧٩٢) قال الألباني صحيح.

الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ))[1]. فأمْر الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- لنا في أن نسأل الله -عزّ وجلّ- الجنّة، إنّما لتشتغل قلوبنا بأعلى ما يجب أن تشتغل به وأعظم ما يكون من غاية، ففي ذلك ترغيب في سؤال الله الجنّة الّتي هي مآل المتّقين، فقد ورد في الحديث: ((مَنْ سَأَلَ اللَّهَ الْجَنَّةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ الْجَنَّةُ: اللَّهُمَّ أَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَمَنِ اسْتَجَارَ مِنَ النَّارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، قَالَتِ النَّارُ: اللَّهُمَّ أَجِرْهُ مِنَ النَّارِ))[2] أخرجه التّرمذي، والنّسائي، وابن ماجه، وصحّحه ابن حبّان.

المقصود أنّنا في الشّريعة وُجّهنا إلى طلب الجنّة، وإذا كان هذا من الطّاعة ومن القُربة فلا بدّ أن يكون في القلب تعلّقٌ بهذا الطّلب؛ لأنّ الإنسان يُكثر الطّلب على حسب ما يتعلّق قلبه، وبسبب جهلها وجهل ما فيها من نعيم قلّ طلبنا للجنّة وقلّ انشغالنا بها وقلّ تفكيرنا فيها، وإن كنّا نؤمن إجمالًا بأنّها الدّار الّتي هي مأوى المؤمنين لكنّنا لم نُحسن لأنفسنا بمعرفة التّفاصيل الّتي تدفعنا إلى الشّوق إلى هذه الدّار الّتي قد عرّفنا الله بها وسمّاها لنا وخلقها فهي موجودة الآن، عرّفنا بمكانها، وعرّفنا بمفتاحها، وعرّفنا بنعيمها.

فنحن نرجو من الله أن تكون هذه السّلسلة مُؤتيةً لثمارها، فنبتدئ مستعينين بالله بتعريف الجنّة.

ثانيًا: تعريف الجنّة

أمّا الجنّة: فهي البستان من الشّجر المتكاثف الملتفّ أغصانه المظلّل. وأصل الكلمة: من الاستتار والاختفاء عن الأعين، ولذا تُطلق على الجنين، وتُطلق أيضًا على المجنون، فعلى الجنين لأنّه في بطن أمّه مستتر عن الأعين، والمجنون سُمّي مجنونًا لأنّه مستور العقل، والجنّ

(١) صحيح البخاري (كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: ٧]، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، ٧٤٢٣).

(٢) سنن الترمذي (أبواب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ أَنْهَارِ الجَنَّةِ، ٢٥٧٢) قال الألباني صحيح.

لاستتارهم عن العيون، فهذا أصل كلمة الجنّة أنَّ الّذي في داخلها يكون مستترًا عن العيون بسبب كثافة الشّجر وهي اسم لدار الكرامة. وفي الدّنيا بساتين النّاس اسمها جنّات لكن الجنّة عند الله هي دار الجزاء الطّاهرة الّتي أعدّها الله كرامةً لأوليائه من الإنس والجنّ.

وهي كما نعلم خاصّة بالموحّدين محرّمة على المشركين والكافرين، فوق سبع سماوات والعرش سقف لها، وهي منازل ودرجات بعضها فوق بعض، لها ثمانية أبواب يدخل منها المؤمنون يوم القيامة بعد أن يُحاسبوا، وفيها من النّعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعظم النّعيم فيها رؤية ربّ العالمين ومحادثته، لا ينقطع نعيمها ولا تنقضي عجائبها، من يدخلها لا يخرج منها، يَنْعم ولا يبأس أبدًا، يحيا ولا يموت أبدًا، يدخلها برحمة ربّ العالمين ويرتقي فيها بما رُزق من أعمال.

هذه هي الدّار الّتي لا بدّ لسكّانها أن يشتاقوا إليها خصوصًا وأنّهم في دار مؤذية، في دارٍ دنيا وتلك الدّار العُليا، فالّذي يحتاجه المرء في مثل هذا أن يُعين نفسه على الشّوق لها لأنّ الاختبار - في هذه الدّار الّتي نحن فيها دار الدّنيا- أن تؤمن بتلك الدّار الّتي هي من الغيب فتصدّق كلّ خبر أتى عنها وتنفعل مع أخبارها وتتعامل مع دار الدّنيا معاملة من هو هاجر وتارك، ومطبّب لجروحه في دار الدّنيا بالتّفكير في تلك الدّار العظيمة، فهذا الشّوق يدفعه للسّير إليها.

خلاصة المدخل إلى تشويق النّفس إلى الجنّة

الحمد لله، رُزقنا من العلم في هذا (التّمهيد) أنّ:

الشّوق إلى الجنّة يدفع للسّير إليها: فالجنّة هي مطلب المؤمنين، وأمل الصّادقين، ورجاء المتّقين، وهي ممّا يجب على المرء أن يكون قصده في جوامع دعائه؛ لأنّ مقصود الدّاعين أن يلحقوا بربّهم وهو راضٍ عنهم فيُدخلهم "جنّات النّعيم".

النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أمرنا إذا سألنا ربّنا أن نسأله "الفردوس الأعلى" الّذي هو أعلى الجنّة؛ لتشتغل قلوبنا بأعلى ما يجب أن تشتغل به وأعظم ما يكون من غاية. وإذا كان سؤال الجنّة من الطّاعة ومن القُربة فلا بدّ أن يكون في القلب تعلّقٌ بهذا الطلب، لأنّ الإنسان يكثر الطّلب على حسب ما يتعلّق قلبه.

بسبب جهلها وجهل ما فيها من نعيم: قلّ طلبنا للجنّة وقلّ انشغالنا بها وقلّ تفكيرنا فيها، وإن كنّا نؤمن إجمالًا بأنّها الدّار الّتي هي مأوى المؤمنين لكنّنا لم نحسن لأنفسنا بمعرفة التّفاصيل الّتي تدفعنا إلى الشّوق إلى هذه الدّار الّتي قد عرّفنا الله بها.

تعريف الجنّة: هي البستان من الشّجر المتكاثف الملتفّ أغصانه المظلّل. وأصل كلمة (الجنّة) أنَّ الّذي في داخلها يكون مستترًا عن العيون بسبب كثافة الشّجر.

وهي اسم لدار الكرامة: في الدّنيا بساتين النّاس اسمها جنّات، لكن الجنّة عند الله هي دار الجزاء الطّاهرة الّتي أعدّها الله كرامةً لأوليائه من الإنس والجنّ.

الجنّة خاصّة بالموحّدين: محرّمة على المشركين والكافرين، وفيها من النّعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، أعظم النّعيم فيها رؤية ربّ العالمين ومحادثته.

الاختبار في هذه الدّار الّتي نحن فيها دار الدّنيا: أن تؤمن بتلك الدّار الّتي هي من الغيب فتصدّق كلّ خبر أتى عنها وتنفعل مع أخبارها وتتعامل مع دار الدّنيا معاملة من هو هاجر وتارك، ومطبّب لجروحه في دار الدّنيا بالتّفكير في تلك الدّار العظيمة، فهذا الشّوق يدفعه للسّير إليها.

المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الاسم الأوّل: "الجنّة"

الاسم الثّاني: "دار السّلام"

المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

وأوّل ما نتكلّم عن هذه الدّار نتكلّم عن أسمائها، والشّيء لمّا يعظم تكثر أسماؤه؛ لأنّه يحتوي على صفات كثيرة، وقد ذُكر أنّ لها أكثر من أحد عشر اسمًا، وأمّا الصّفات فكثيرة، فنبدأ بأسمائها:

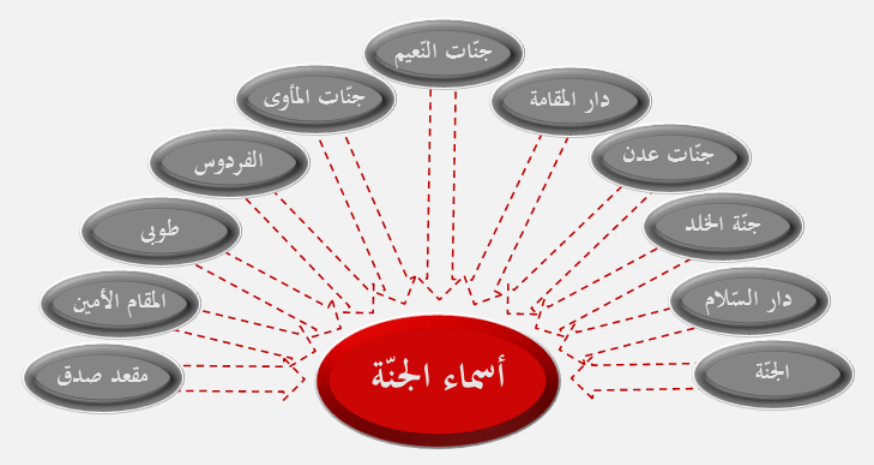

"الجنّة"

وقد ورد بتكرار تسميتها بـ"الجنّة"، وهذا اللّفظ ورد في القرآن خمسًا وتسعين مرّةً وسيكون له نصيب من المناقشة، لكن نبدأ بالأسماء الّتي هي محدودة الذّكر.

"دار السّلام"

فنبدأ بتسمية الجنّة في القرآن بـ"دار السّلام"، ومن ذلك ما ورد في سورة يونس في الآية (٢٥)، وفي الأنعام في الآية (١٢٧)، سُمّيت الجنّة بـ"دار السّلام"، وسنبدأ بما ورد في سورة يونس، ونناقشه بشيء من التّفصيل ثمّ ننتقل لما في الأنعام، وسنقرأ السّياق الّذي وردت فيه الآية.

قال تعالى: {إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا

لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ}[١].

عندما نتأمّل هذه الآيات العظيمة سنرى أنّ فيها وصْفًا دقيقًا لمتاع الحياة الدّنيا، وكيف أنّه متاع يظنّ أهله أنّهم قادرون عليه، وهو متاع ليس له إلّا مدّة قصيرة، وصائر إلى زوال، وهذا التّمتّع شُبِّه بهيئة الزّرع يكون نضرًا وتُفتنُ به النّفْس ويحلو لها ويشغلها ثمّ يكون مصيره الحصْد والهلاك! فترى النّاس يحسبون أنَّ بهجة الحياة الدّنيا دائمة فينكبّون عليها انكباب الممتلئ قلبه ببقائها وعدم زوالها، فيقال لهم انتبهوا: فإنّ الدّنيا انقضاؤها سريع ومفاجئ وهذين عنصرين غاية في الأهمّيّة: سرعة الانقضاء، ومفاجأة الانقضاء، ونحن دائمًا نقول موت الفجأة وموت الفجأة! نعم، مفاجأة يأتيها "أمرنا ليلًا أو نهارًا"، فيكون هناك انقضاء سريع ومفاجئ، وحال النّاس في الدّنيا والانشغال بملذّاتها وبما يستهويهم، ينكرون أنّ هذا الشّيء سيتغيّر أو أنّه سيذهب. فالمعنى أنّ هذه هي حالة الحياة الدّنيا في سرعة تقضّيها وزوال نعيمها بعدما يكون النّاس قد ابتهجوا بها وزادت نضارتها. شُبّه هذا بحال نبات ازدهر وأعجب به زرّاعه ثمّ ذهب حُطامًا، هذا التّفصيل هو المقصود وإن كان المثل يحتاج إلى كثير من العناية لكن ننتقل إلى ما نقصد.

سنلاحظ أنّ المثل قال فيه الله عزّ وجل: {فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ} وهذا فيه إشارة إلى أنّ هناك أقوام رغباتهم مختلفة في تناول لذائذ الحياة على حسب اختلاف مراتب هممهم، فكأنّه يُقال: أنّ معالي الأمور من نِعَم الدّنيا، وكأنّه يشبه النّبات الّذي يقتاته النّاس وسفاسف الأمور الّتي يجري وراءها النّاس بالنّبات الّذي يأكله الأنعام، والله -عزّ وجلّ-

(١) سورة يونس: ٢٤-٢٥.

يقول: {وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ}[1]، فهي تكون في غاية الزّخرف متزيّنة متلوّنة ثمّ يذهب هذا كلّه وأهلها يظنّون أنّهم قادرون عليها، أي مستمرّون على الانتفاع بها يحصّلون ثمرتها، فتنقلب الأحوال ويصبح الجميل قبيحًا والمحبوب مبغوضًا والأماكن الّتي تمتّع بها الإنسان لا يريد أن يتذكّرها من كثرة الآلام الّتي حُشي قلبه بها!

إلى أن يصل أن يشعر الإنسان {كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ} فتكون علاقته بالأماكن كأنّها لم تُعمر بالزّرع، لم تُعمر بالخلق، كأنّها ما كانت مأهولةً، أصبحت قفرًا! وكأنّه ما كان بالأمس محبوبًا هذا المكان، ما كان بهيجا! ما كان تميل إليه النّفس! ما كان هؤلاء الأشخاص هم الّذين يُسرُّ برؤيتهم! وهذه الممرّات الّتي مررنا بها ونحن سعداء، تصبح مصدرًا للآلام، ذكريات لا يحب الإنسان أن يتذكّرها وإذا تذكّرها يشعر بالحزن على فواتها، فمهما تمتّع فهو في حالة التّمتّع يخشى فقدانها وفي حالة فقدانها يتألّم على فقدانها!

ولذا ختم الله -عزّ وجلّ- هذه الآية بقوله: {كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ} يدعو كلّ أحد إلى "دار السّلام" الّتي سَلِمت من كلّ ما يكدّرها، وهذه إشارة إلى أنّ الدّنيا دار محشوّة بالآلام، والجنّة "دار السّلام"؛ لسلامتها من جميع الآفات والنّقائص، لا آفة فيها ولا نقيصة، لا ألم فيها ولا حزن. وقد ذُكر في بعض الآثار عن أبي الدّرداء مرفوعًا إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: ((مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ قَطُّ، إِلَّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْهَا مَلَكَانِ إِنَّهُمَا لَيُسْمِعَانِ أَهْلَ الْأَرْضِ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، هَلُمُّوا إِلَى رَبِّكُمْ فَإِنَّ مَا قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ وَأَلْهَى))[2]، وهذا كلّه بيان لأنّ هذه الدّنيا لا تغني أحدًا، والله السّلام، من أسمائه السّلام، وداره الجنّة "دار السّلام" من وصلها كان سالمًا، ومن دخلها سلم من الآفات، تحيّة أهلها السّلام،

(١) سورة محمد: ١٢.

(٢) المستدرك على الصّحيحين، قال الحاكم: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

تدخل عليهم الملائكة تسلّم عليهم {وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُم}[١].

فأهلها في غاية السّلامة سالمين من النّكبات، ومن الآفات ومن النّقائص، أهل هذه الدّار يأمنون جيرانهم من المؤمنين لا غلّ ولا حقد ولا حسد، يأمنون زوّارهم فلا يجدون في أنفسهم عليهم ولا زوّارهم يجدون في أنفسهم عليهم، سالمين من إعابتهم في تصرّفاتهم، سالمين من الخوف من غضب ربّهم، السّلامة وصْف لهم فلا آلام بدنيّة ولا آلام نفسيّة ولا مخاوف.

فلمّا تقرأ هاتين الآيتين مثل الدّنيا ومثل "دار السّلام".. مثل الدّنيا ودعاء الله إلى "دار السّلام" تقدّر المعنى، فكأنّه يُقال: الشّيطان يدعوكم إلى إيثار متاع الحياة الدّنيا وزخرفها والله تعالى يدعو النّاس جميعًا إلى الإيمان الّذي يوصلهم إلى "دار السّلام"، فما دامت الدّنيا هذا وصفها أنّها سريعة الزّوال، فلْترغب بالدّار الّتي لا تحوُّل لها ولا تبدّل.

وقد ورد في الحديث الصّحيح: ((جَاءَتْ مَلاَئِكَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ نَائِمٌ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: إِنَّ لِصَاحِبِكُمْ هَذَا مَثَلًا، فَاضْرِبُوا لَهُ مَثَلًا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: مَثَلُهُ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا، وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً وَبَعَثَ دَاعِيًا، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدّار وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدّار وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ، فَقَالُوا: أَوِّلُوهَا لَهُ يَفْقَهْهَا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّهُ نَائِمٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ العَيْنَ نَائِمَةٌ، وَالقَلْبَ يَقْظَانُ، فَقَالُوا: فَالدّار الجَنَّةُ، وَالدَّاعِي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَمَنْ أَطَاعَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَرْقٌ بَيْنَ النَّاسِ))[٢]، رُوي هذا الحديث بألفاظ مختلفة منها اللّفظ الّذي ورد في البخاري، الشّاهد أنّ

(١) الرّعد: ٢٣-٢٤.

(٢) صحيح البخاري (كتاب الاعتصام بالكتاب والسّنّة، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٧٢٨١).

الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أُرسل للخلق من السّلام -سبحانه وتعالى- يدعوهم إلى "دار السّلام"، والشّيطان أرسل مراسيله من الدّنيا من زينتها وزخرفها ومن شياطين الإنس والجنّ يدعون إلى هذه الدّار، والله يدعو إلى "دار السّلام".

هذا المعنى الّذي في سورة يونس ورد أيضًا في سورة الأنعام الآية (١٢٧) وعندما ننظر في السّياق سيظهر معنى يُضاف إلى المعنى السّابق:

قال تعالى: {وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ (١٢٦) ۞ لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٢٧) وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الْإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا ۚ قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ (١٢٨) وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٢٩) يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا ۖ وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ}[١].

نبدأ بالآية الأخيرة {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ} وهؤلاء الرّسل {مِّنكُمْ} ماذا يفعلون؟ {يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا} الذي سينقسم فيه النّاس فريق في الجنّة وفريق في السّعير، الجواب: {قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا} العلّة: {وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا} هذا إنّما هو بسبب اغترارهم بالحياة الدّنيا، والاغترار بالحياة الدّنيا يمنع الانسان من "دار السّلام"، فإذا نظرنا للآية (١٣٠) سيتبيّن بوضوح أنّ الرّسل دعت إلى "دار السّلام" وهذا يظهر في بداية السّياق {وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا ۗ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ} هؤلاء تذكّروا ولم تغرّهم الحياة الدّنيا، يعلمون أنَّ كلّ شيء في الدّنيا ناقص فيقولون لأنفسهم: غدًا نلحق بربّنا ويُسكنّا

(١) سورة الأنعام: ١٢٦-١٣٠.

"دار السّلام" فنسلم من هذه الهموم، كلّ شيء ينغّص عليهم يقولون: في "دار السّلام" لا تنغيص، كلّ شيء يؤذيهم يقولون: في "دار السّلام" هناك السّلامة من كلّ أذيّة، فالصّراط المستقيم فُصّلت آياته، وتذكره القوم الّذين يتذكّرون وهؤلاء لهم "دار السّلام" عند ربّهم وقد كانوا في الدّنيا يوالونه وهو وليّهم، فهؤلاء لهم "دار السّلام" بسبب تسليمهم لأنفسهم من الدّنيا ولولايتهم لربّهم، فلمّا والوه وتعلّقوا به وسألوه، تولّى مصالحهم وتولّى إيصال الخير إليهم وأحبّهم وناصرهم بسبب أنّهم تقرّبوا إليه بالأعمال الصّالحة، فهذه الدّار "دار السّلام" جميع حالاتها مقرونة بالسّلامة من جميع المكاره.

ولنلحظ هنا العنديّة {لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِندَ رَبِّهِمْ} فهذا الجوار يكفي شرفًا ورتبةً، وأهل الإيمان يتيقّنون بأنّ ربّهم العظيم الّذي اسمه السّلام إذا جاوره أحد كان في سلامة تامّة، فهم ينعمون في هذه الدّار في خير جوار، لهم الدّار الواسعة، لهم الدّار السّالمة الآمنة، وأمانهم الّذي ينعمون به كاملًا لا يعتري صاحبه شيئًا ممّا يخافه، سالمين من كلّ مكروه يعيشون في كلّ نعيم، مجاورين لربّ العالمين، فقد كانوا في الدّنيا يوالونه، وهو ولّيهم، قلوبهم دائمًا عند بابه وأرواحهم متعلّقة به، فيأتون يوم القيامة في "دار السّلام" {عِندَ رَبِّهِمْ} وهذا من تمام المنّة فهو الوليّ الموالي النّاصر والله -عزّ وجلّ- يقول: {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} فهذه المنزلة العظيمة وهذه الباء للسّببيّة فبسبب أعمالهم تولّاهم، وإذا تولّاهم أدخلهم "دار السّلام".

فالمقصد أنّ "دار السّلام" إنّما هي سالمة لهؤلاء الأولياء فمن تولّاهم الله طابت لهم الحياة الدّنيا فساروا على الصّراط المستقيم ثمّ لقوا ربّ العالمين فكانوا في "دار السّلام" السّالمة الّتي سلّمها الله لأهلها من كلّ بليّة وآفة ومكروه.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل "دار السّلام" في الآخرة ومن أهل ولايته في الدّنيا، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله ربّ العالمين.

اللّقاء الثّاني

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الاسم الثّالث: "جنّة الخلد"

الاسم الرّابع: "جنّات عدن"

الاسم الخامس: "دار المقامة"

الاسم السّادس: "جنّات النّعيم"

الاسم السّابع: "جنّات المأوى"

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله نناقش هذا الموضوع المهمّ: "التّشويق إلى الجنّة"، وهذا لقاؤنا الثّاني، وكنّا في الكلام حول المبحث الأوّل وهو "أسماء الجنّة"، ومرَّ معنا أنَّ من أسماء الجنّة: "دار السّلام".

"جنّة الخلد"

والآن بإذن الله نناقش الاسم الثّاني من أسماء الجنّة وهو "جنّة الخُلد"، فهي دار الخُلد، وقد ذكر الله -عزّ وجلّ- هذا الوصف لها في سورة الفرقان:

قال تعالى: {قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا (١٥) لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا}[١].

هنا أتى تسمية الجنّة بـ"جنّة الخُلد" في سياق الكلام مع الكافرين، وابتدأت الآية بقوله تعالى: {قُلْ}، وكلّ كلام في النّظم القرآني الحكيم صُدِّر بفعل الأمر {قُلْ} لا بدّ أن يدلّ على أهمّيّة المقول بعده وضرورة الالتفات له، وضرورة نشره وبيانه. فهنا يُقال: {قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ} ذلك: معلوم أنّه اسم إشارة للبعيد، فما "ذلك" الّذي يُشار إليه؟ سيتبيّن لو عُدنا إلى السّياق وقرأنا من الآية (١١):

قال تعالى: {بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا (١٢) وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا (١٣) لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا}[٢].

---

(١) سورة الفرقان: ١٥-١٦.

(٢) سورة الفرقان: ١١-١٤.

إذًا الكلام حول النّار {قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ} يعني هل النّار الّتي سُعّرت وأعدّها الله لمن كذّب بالسّاعة، وصُوّرت هذا التّصوير العظيم: {إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا}.

{أَذَٰلِكَ خَيْرٌ} هذه النّار خير، أم "جنّة الخُلد"؟! ولا يمكن أن يكون هناك نسبة خيريّة إلى النّار، يعني لا يمكن أن ننسب بين الجنّة والنّار، لكن كأنّ المقصود أن فكّروا بعقولكم! هل يمكن أن تَتْرُكَ هذه الجنّة الّتي وصْفُها الخُلد، مستديمة في نعيمها، كما قال تعالى: {أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا}[1] بهذه النّار؟! لكن هل يتصوّر أحد أنّه يستبدل الجنّة بالنّار؟ هذا لا يُتصوّر! لكن الإنسان لا يفكّر في أنّ وراء هذا التّصديق والإيمان جنّة، ووراء التّكذيب نار، إنّما ينظر للمسألة على هواه، ولذلك لو بدأنا من الآية (٤) في السّورة سيتبيّن كيف كان تفكيرهم:

{وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا}[2].

إذًا هذا التّفكير الّذي يفكّرون فيه، لمّا جاءهم الخبر بالأمور الغيبيّة قالوا: هذا "إفك افتراه"، وأيضا: "أعانه عليه قوم آخرون"، وقالوا: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، وما قاله الأوّلون قاله الآخرون، فالّذي نسمعه اليوم هو نفسه الّذي قاله من قبلهم: {أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ}، هذه الكلمة الّتي تتردّد بألفاظ مختلفة، يقولون: (هذا من كلام الأوّلين إنّما تتلقّاه الأفواه! مجرّد ميراث شعبي! أُسطورة! أُغلوطة! أساطير!)، فهذا الّذي قالوه كأنّهم في مقالتهم هذه وعدم تفكيرهم في الحقائق ومتابعة هواهم وكبرهم، وعدم تركهم لأنفسهم فرصةً أن يفكّروا بالطّريقة الصّحيحة، نزلوا بمنزلة من رأى أنّ النّار خير من "جنّة الخُلد"! فكان الجواب: لا تكذبوا! فهذا الوحي ليس

(١) سورة الرّعد: ٣٥.

(٢) سورة الفرقان: ٤-٥.

إفكًا افتراه ولا هو بأساطير الأوّلين؛ ولذلك قال الله -عزّ وجلّ- في الآية الّتي بعدها: {قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}(١).

إذًا معنى ذلك أنّكم لو قرأتموه، وتدبّرتموه، وفهمتموه، سيتبيّن لكم أنَّ هذا مُنْزَلٌ من {الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} لأنّه يخبركم حتّى عمّا تجيش به نفوسكم، فلا يمكن أن يكون هذا إلّا من عالم السّرّ {الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا}.

وعندما تتأمّل مناقشاتهم الّتي تدلّ على أنّهم اختاروا لأنفسهم النّار ورأوها خيرًا من الجنّة، حيث قالوا للرّسول هذه المقولة الّتي تدلّ على ضيق أفقهم وعلى أنّهم لا يرون إلّا الدّنيا؛ وهذا لبُّ الأمر فكلّ المقاييس عندهم مقاييس دنيويّة، وعندما يُقال لهم: (اتركوا عنكم الدّنيا! وراءكم الآخرة! وراءكم الجنّة! وراءكم الصّراط احملوا همّه! وراءنا ما وراءنا لا تشغلوا أنفسكم بالتّوافه! لا تضق نفوسكم على ما نقص من الدّنيا! فما الدّنيا إلّا دار ممرّ!)، {قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ} بل لا يريدون أن يؤمنوا إلّا حينما يأتيهم شيء من الدّنيا، ولذلك طلبوا هذه الأدلّة على الرّسول:

{وَقَالُوا مَالِ هَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ۚ وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا}(٢)

إذًا هذه حالتهم، جعلوا علامات صدق الرّسول أمورًا دنيويّةً، وقالوا كيف يأكل الطّعام؟! كيف يمشي في الأسواق؟! يريدون أن يكون له من المُلْكِ أو معه مَلَكٌ، ما يرفعه عن النّاس لكي يصدّقوه؛ لأنّ كلّ تفكيرهم بهذه الصّورة: أنَّ الّذي له مكانة في الدّنيا هو الّذي يُؤخذ منه ويُقبل منه؛ ولذا أتوا بما هو أشدّ: لماذا لم {يُلْقَىٰ إِلَيْهِ كَنْزٌ}؟! لماذا لم تكن لديه {جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا}؟! لماذا

(١) سورة الفرقان: ٦.

(٢) سورة الفرقان: ٧-٩.

يحتاج مثلما يحتاج الخلق؟! أليس رسولًا من الله فليكن عنده مكانة عند النّاس! فالمكانة للرّسول عندهم أن يكون الله قد أعطاه شيئًا من الدّنيا! ثمّ ضربوا له الأمثال بأن شبّهوه بالسّاحر أو المسحور، فالله يردّ عليهم وعلى كلامهم أنَّ الدّنيا لا تستحقّ شيئًا، لا تستحقّ حتّى أن تعتني بها، ((لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ))[1]!

ولذلك قال سبحانه وتعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا (١٠) بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا}[2] بمعنى أنّ الله لا يعجزه أن يجعل لك خيرًا من ذلك الّذي يقترحونه، جنّات في الدّنيا {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا}، لكن ليست الدّنيا هي المراد! ولو حصل هذا لكان ذهب الاختبار! إنّما الاختبار أن تُصَدِّق اليوم بهذه الأخبار الّتي عليها أدلّة وآيات واضحة، وتتيقّن بما ستلقاه يوم القيامة، فيأتي يوم القيامة وأنت من أهل اليقين.

فهذه "جنّة الخُلد" وسُمّيت بذلك لأنّ أهلها لا يرتحلون عنها أبدًا {وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[3]، ومعنى هذا أنّ الدّنيا أهلها فيها متنقّلون لا يثبتون على حال، بينما "جنّة الخُلد" أهلها فيها في حالة من التّمتّع لا يريدون تحوّلًا عنها، وهذه "جنّة الخُلد" قيل فيها: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} أي خالدون يطلبون ما يشاؤون أيّ أمر تتعلّق أمانيهم به من مطاعم ومشارب، وملابس، وقصور، وجنّات، وحدائق وفواكه، وأيّ مصدر للسّرور لنظرهم أو قلوبهم موجود، وأيّ حسن موجود، التّنوّع وكثرة الأصناف، وسهولة الوصول والأنهار الّتي تجري في رياض الجنّة وبساتينها بلا أخاديد حيث شَاؤُوا يُصرّفونها ويفجّرونها أنهارًا من ماء غير آسن وأنهارًا من لبن لم يتغيّر طعمه، وأنهارًا من خمر لذّةً للشّاربين، وأنهارًا من عسل مصفّى، روائح طيّبة، ومساكن مزخرفة، وأصوات

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٢٠).
(٢) سورة الفرقان: ١٠-١١.
(٣) سورة الحجر: ٤٨.

شجيّة، فيها من التّمتّع بلقاء الأحباب ومزاورة الإخوان ما يشرح الصّدور، وأعلى من ذلك كلّه التّمتّع بالنّظر إلى وجه الرّبّ الكريم الرّحيم، وسماع كلامه والحظوة بقربه، والسّعادة برضاه والأمن من سخطه، وهم في خلود في هذا النّعيم مستمرّ ودائم وزائد؛ ولذا سنرى من أسمائها ما يدلّنا على أنّها دار الزّيادة، والله -عزّ وجلّ- قال: {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا}[1] دخولها والوصول إليها على الله، فتسأل الله، تسأله بلسان حالك وبلسان مقالك، تسأله:

- **بلسان مقالك:** فتقول: (يا ربّ ارزقنا الجنّة، اللّهمّ آمين لنا ولأحبابنا وللمسلمين أجمعين).
- **وبلسان حالك:** فتعبده وتشكره وتصبر وتذكر.

ويبقى السّؤال: {أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ}؟! عُمّال يعملون لدار الشّقاء، وعمّال يعملون لدار السّعادة، لا مقارنة! من المؤكّد أنّ أصحاب الفضْل والعطيّة هُمْ مَنْ أَنْعَمَ الله -عزّ وجلّ- عليهم فاعتنوا بهذه الدّار، واستنار السّبيل لهم، وتقرّبوا إلى ربّهم.

"جنّات عدن" و "دار المقامة"

ولذلك من أسماء الجنّة أيضًا كما أنّ الجنّة "دار الخُلد"، فكذلك الجنّة "دار المقامة"، وكذلك الجنّة من أسمائها "جنّات عدن".

وهذه الأسماء: "دار المُقامة" و "جنّات عدن" و "جنّات الخلد" كلّها مرتبطة ببعضها من جهة الوصف، فـ"جنّات الخُلد" أهلها خالدون فيها، لهم فيها ما يشاؤون، الخلود هذا هو نفسه الّذي

(١) سورة الفرقان: ١٦.

يتضمّنه معنى "دار المُقامة" بزيادة معنًى آخر، سنفهم هذا المعنى الّذي في "دار المقامة" كوصف للجنّة، وقد ورد في سورة فاطر في الآية (٣٤) والآية (٣٥)، وسنبدأ بالقراءة من الآية (٣٣):

قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًاۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ (٣٣) وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ (٣٤) الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ}[١].

هذا السّياق جمع بين وصفين للجنّة: أنّها "جنّات عدن" وأنّها "دار المُقامة"، فنبدأ بمعنى "جنّات عدن" ونستشهد عليه بمزيد من الأدلّة، ثمّ نختم بالاسم الثّاني للجنّة وأنّها "دار المُقامة".

نبدأ بـ"جنّات عدن"، أوّلًا: هي "جنّات" وليست جنّة، وهذه الجنّات من اسمها ستعلم أنّها مشتملة على الأشجار، والحدائق الحسنة، والأنهار، والقصور، والمنازل، وهم فيها أبدًا لا يزولون، وهم يعيشون لا ينفد عيشهم.

والعَدْنُ في أصله من الإقامة، فهم في {جَنَّاتُ عَدْنٍ} أي بمعنى: في جنّات مقيمين فيها، وهم في إقامتهم هذه لا يحصل لهم شيء من الملل أبدًا، ويحصل لهم من التّمتّع بها ما يطردُ كلّ عادة فهم لا يصلون إلى درجة الاعتياد على النّعيم، بل كلّما كانوا في نعيم وتمتّعوا به زاد نعيمهم، فهم مقيمون لا يمرُّ على خواطرهم الرّحيل، ولا تملُّ نفوسُهم ممّا يتناولون، بل يرغبون ويشاؤون فيعطيهم الله ويزيدهم.

مثل هذا نجده في الدّنيا ممنوعًا، أي أن يعيش الإنسان فلا يملّ من منظر يراه أو من نعيم يتمتّع به ولا يفقد طعمه، ويصل الإنسان إلى مرحلة في الدّنيا حتّى ملامح النّعيم يفقدها، فهذا التّصوير بأنّها "جنّات عدن" يجعل الإنسان يتصوّر كيف أنّ ما سيتنعّم به أهل الجنّة يتجدّد

(١) سورة فاطر: ٣٣-٣٥.

ويتجدّد، وسيأتينا بأمر الله الكلام حول ما ذكره ابن عبّاس من أنّه: "يخطر على قلب أحدهم لحم الطّير، فيطير حتّى يقع بين يديه على ما اشتهى"، فالأمر دائر على أنّه لا شيء هناك على ما كان {لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ} فتتجدّد مشيئتهم وتتغيّر فيتجدّد معها النّعيم.

فهذه الجنّات الّتي لا يرغبون عنها حولًا ولا انتقالاً، ويدخلونها بفضل الله {يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} لن نتكلّم عن التّفاصيل وإنّما المقصود أن نتصوّر هذا المعنى: أنّ الجنّة سُمّيت بـ"جنّات عدن" لهذا المعنى المهمّ، وهو أنّ أهلها لا يرغبون أبدًا في التّحوّل عنها، فتتجدّد مشيئتهم للأشياء الّتي يشتهونها فيتجدّد معه النّعيم، وهذا واضح جدًّا في الآية (٣١) في سورة النّحل:

قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ}[1].

يعني هذه "جنّات عدن" لا يريدون التّحوّل عنها أبدًا؛ لأنّه مهما تمنّته أنفسهم وتعلّقت به إراداتهم حصل لهم على أكمل وجه وأتمّه، وكلّما شَاؤُوا شيئًا وجدوه، فالنّعيم متجدّد والملل مطرود، ليس هناك نوع من أنواع النّعيم فيه لذّة لقلوبهم وأرواحهم اشتهوه إلّا جاءهم، كلّ سرور حاضر بين يديهم، فالله -عزّ وجلّ- يعطي أهل الجنّة كلّ ما تمنّوه عليه، حتّى أنّه في بعض الرّوايات -جلّ ذكره- يُذكّرهم أشياء من النّعيم لم تخطر على قلوبهم، سبحان الله! لا حدّ ولا نهاية لكرمه، ليس كمثله شيء -سبحانه وتعالى- في ذاته وصفاته وعظمته وجلاله وإكرامه.

وأمّا وصف الجنّة بأنّها "دار المُقامة"؛ فإنّه في نفس السّياق لمّا سمعنا عن الجنّة أنّها "جنّات عدن" سمعنا أيضًا: {الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ} وهو زيادة بيان لعدن، والمقصود أنّ "دار المُقامة" الّتي هي الدّار الدّائمة الإقامة فيها، والدّار الّتي يرغب المقيم ألّا يتحوّل عنها؛ لكثرة

(١) سورة النحل: ٣١.

ما فيها من خيرات، وكثرة ما فيها من مسرّات، ولزوال الكدر فيها تمامًا، وسلامتها من كلّ ما يُؤذي، فهذا يجعل المقام فيها نعيمًا، يُقيم فيه وهو في غاية من الرّغبة، سالمًا حتّى من الرّهبة.

فـ"دار المُقامة" ليس مثل دار الدّنيا، إذا سكنتَ الدّنيا وفرحتَ بشيء ممّا فيها لا بدّ أن يصيبك الخوف من زواله، أمّا هذه الدّار فهي سالمة من المخاوف "دار السّلام"، وأهلها لا يرغبون في التّحوّل عنها لأنّها "جنّات عدن"، ولا يأتي شيء فيحوّلهم عنها، فهي "دار السّلام" ليس فيها مخاوف، لا هم يملّون فيتحوّلون لأنّها "جنّات عدن" ولا يُحوَّلون عنها لأنّها "دار المُقامة". وقد وصفوها فقالوا: {لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ} وهذه الدّار ما دخلها أهلها إلّا بفضل من الله، ولأنّ الله عاملهم باسمه الغفور الشّكور.

ثمّ سنلحظ بين الوصفين: بين "جنّات عدن" و "دار المقامة" أنّهم قالوا: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ}، وهذا معناه أنّ هذه الدّار الّتي يسكنونها ويقيمون فيها ولا يرغبون عن التّحول ولا يحوّلهم أحد، ذهب عنهم فيها كلّ حزن ولا يعرض لهم الحزن فيها بأيّ سبب أبدًا، لا نقص في أبدانهم ولا في جمالهم ولا في مُلكهم ولا في طعامهم ولا في شرابهم ولا في لذّاتهم ولا في صحّتهم ولا في دوام لبثهم، فَهُمْ في نعيم لا يرون عليه مزيدًا:

- **فهي "جنّات عدن"** لا يملّونها تتزايد أبد الآباد.
- **وهي "دارالمقامة"** لا حُزْن فيها ولا إخراج.

وما بلغوها بجهدهم؛ إنّما بلغوها لأنّ {رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}.

"جنّات النّعيم"

أيضًا من أسماء الجنّة "جنّات النّعيم" كما في لقمان الآية (٨):

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(١).

إذًا الله -عزّ وجلّ- يُخبر أنَّ هذا الإيمان والعمل الصّالح جزاؤه "جنّات النّعيم" بشارةً لهم بما قدّموه، "جنّات النّعيم" تعني أنّهم سيتنعّمون في نعيم لا كدر فيه، على خلاف الدّنيا، وهنا في سياق سورة لقمان هناك نوع لطيف جدًّا من النّعيم، سيتبيّن الكلام عنه لو قرأنا الآية (٦):

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ (٦) وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِي أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} ثمّ أتى بعدها: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ (٨) خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ اللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ}(٢).

فيكون ممّا يُتصوّر أنَّ من النّعيم الّذي يكون لأهل الإيمان أنَّ آذانهم لا تسمع "لهو الحديث" ولا تسمع من يتّخذ الدّين "هُزُوًا"، وأعينهم لا ترى من "ولَّى مُستكبرًا"، وهذا نوع عجيب من النّعيم، ولا يشعر بأنّه نعيم إلّا من ذاق في الدّنيا آلامًا يجدها في قلبه حينما يرى الباطل ينتشر وحينما يراه يخطف النّاس، وعندما يقوم من نومه على لهو الحديث ويمسي في مسائه على لهوه، يراه يدفع النّاس عن باب الله ويرى المستكبرين المولّين كأنّهم لم يسمعوا الحقّ كأنّ في آذانهم وقرًا، يراهم فترى قلبه يحترق بما يسمع ويرى، فإذا دخل الجنّات -نسأل الله من فضله- ذهب كلّ هذا وكان في نعيم، وهذا ممّا يُلحظ في السّياق!

---

(١) سورة لقمان: ٨-٩.

(٢) سورة لقمان: ٦-٩.

فلو لاحظنا هذا في السّياق بأنّ الّذي في قلوبنا من حرقة سيكون قُربة إلى الله، ففي الدّنيا لا بدّ أن نشعر بهذه المرارة ممّا نجده من هؤلاء الّذين يشترون لهو الحديث، وهذه الدّار الّتي نحن بشوق لها سالمةٌ من كلّ نقص وعيب، أهلها لا يريدون التّحوّل عنها، ولا يُدْفَعون فَيُؤْمَرون بالتّحوّل عنها، وهم فيها في نعيم.

"جنّات المأوى"

وهي مأوى للمتّقين، فمن أسمائها أيضًا أنّها "جنّات المأوى"، وقد ورد في القرآن في سورة النّجم:

قال تعالى: {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ (١٠) مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ (١١) أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ (١٢) وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ (١٣) عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ (١٥) إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ (١٦) مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ (١٧) لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ}[1].

هذه الآيات في الكلام حول ما وقع للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في حادثة المعراج، ووصوله إلى {سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ}، وهي شجرة عظيمة فوق السّماء السّابعة، سُميت بـ{سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ} لأنّه ينتهي إليها ما يعرج من الأرض، وينزل إليها ما ينزل من الله من الوحي.

هذه {سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ (١٤) عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ}، أي يأوي إليها كلّ نعيم، وتأوي إليها قلوب المتّقين وأمانيهم، فهي محلّ تنتهي عنده الأماني وترغب فيه الإرادات، وهي في مكان عظيم، فبعد أن أُخْبِرْنا عن {سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ} قيل لنا أنّ: {عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ}، وهذه الجنّة قد ذُكر عن ابن عباس

(١) سورة النجم: ١-١٨.

أنّه يأوي إليها جبريل والملائكة، بل وتأوي إليها أرواح الشّهداء، فالمقصود أنّ هذا اسم من أسمائها إن كان يأوي إليها الملائكة وأرواح الشّهداء، ويأوي إليها كلّ نعيم، وتأوي إليها الأماني، فهي مأوى أماني المتّقين وغاية مقصود المحبّين.

نسأل الله -عزّ وجلّ- أن تكون مأوانا ومأوى والدينا ووالديهم وأحبابنا وذرارينا والمسلمين، اللّهمّ آمين. وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّقاء الثّالث

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الاسم الثّامن: "الفردوس"

الاسم التّاسع: "طوبى"

الاسم العاشر: "المقام الأمين"

الاسم الحادي عشر: "مقعد صدق"

المبحث الثّاني: أوصاف الجنة

أوّلًا: أبوابها

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله حمدًا كثيرًا طيّبًا مباركًا، ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل الجنّة نحن ووالدينا ووالديهم وذرارينا وأحبابنا والمسلمين، اللّهمّ آمين.

في لقائنا السّابق من هذه اللّقاءات الّتي عُقدت لنعبد الله عبادة التّشوّق إلى دار كرامته، كنّا عرفنا شيئًا من أسماء الجنّة، واليوم بأمر الله في هذا اللّقاء نُكمل بعض أسمائها.

"الفردوس"

فمن أسماء الجنّة: "الفردوس"، و"الفردوس" يُطلق على جميع الجنّة، ويُطلق أيضًا على أفضلها وأعلاها، ممّا يدلّ على أنّها تُطلق على جميع الجنّة: ما ورد في سورة (المؤمنون) بعد ذكر صفات أهل الإيمان:

قال تعالى: {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ (٣) وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ (٤) وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ (٥) إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ (٧) وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ (٨) وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ (٩) أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[1].

فأتت هنا في هذا السّياق على وجه العموم؛ أنّ كلّ أهل الإيمان سيرثون "الفردوس"، أيضًا وردت في سورة الكهف في الآية (١٠٧):

(١) سورة المؤمنون: ١-١١.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا}[1].

إذًا في هذين الموطنين أتت "الفردوس" اسمًا للجنّة يُطلق على جميع الجنّة.

وورد في السّنّة أنّ هناك "الفردوس الأعلى" وهذا المقام العظيم، فكأنّ هذه خاصّيّة الّتي قال فيها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ))[2] فالأعلى ربّما خصّصت هذا الاسم، فأصبح "الفردوس" اسمًا للجنّة، و"الفردوس الأعلى" هي المكان العالي فيها، و"الفردوس" في لغة العرب هو البستان كثير الأشجار وكثير الأعناب، فالمستظلّ تحت هذه الأشجار يرى منظرًا بهيجًا، والله -عزّ وجلّ- قد أخبر في سورة (المؤمنون) أنّ هذه المنزلة يرثونها: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ (١٠) الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ} فالوراثة كما هو معلوم فيها انتقال شيء أو حظّ من شخص إلى شخص، فكيف يرثون "الفردوس"؟

ورد في الحديث: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا لَهُ مَنْزِلَانِ: مَنْزِلٌ فِي الْجَنَّةِ، وَمَنْزِلٌ فِي النَّارِ، فَإِذَا مَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، وَرِثَ أَهْلُ الْجَنَّةِ مَنْزِلَهُ))[3] فهذا الّذي يظهر في قوله تعالى: {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} معنى ذلك أنّ أهل الإيمان يرثون منازل الكفّار لمّا قام أهل الإيمان بما يجب عليهم وأهل الكفر تركوا ما أُمروا به.

المعنى أنّ الجنّة يورثها الله من عباده من كان تقيًّا، فالتّقيّ قد غضّ بصره، وسدّ أذنه، وراعى الحُرُمات، وترك المبهجات، فجوزي بـ"الفردوس" مكان النّعيم، وأُعطيَ ما يُبهج القلب بعد حرمان، وهذا ممّا يُطيّب الفؤاد، أنّ الدّنيا وما فيها من أمور مبهجة ولو تمتّع بها الإنسان لن تكون "الفردوس"، يعني لن تكون المناظر الشهيّة الخالية من النّقص، فكلّ مُتَع الدّنيا ليست

(١) سورة الكهف: ١٠٧.

(٢) صحيح البخاري (كتاب الجهاد والسير، بَابُ دَرَجَاتِ المُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، ٢٧٩٠).

(٣) سنن ابن ماجه (كتاب الزهد، بَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ، ٤٣٤١) قال الألباني: صحيح.

حائزةً على هذا الوصف، فإذا غضّ بصره عنها وسدّ أذنه منها وشقّ طريقه إلى ربّه ما فاته شيء، بل ويُجازى على ذلك "الفردوس"! حيث بهجة المناظر وحُسن المرأى والمسمع، فلا يؤذيه شيء، ويبهجه كلّ شيء! هذا المعنى معلوم عند النّاس أنّ "الفردوس" المكان البهيج الّذي يسعد أصحابه ولا يشقون، يرون ويسمعون ما يشعرهم بالسّعادة. فهذا اسم من أسماء الجنّة.

"طوبى"

ويُناسبه أيضًا ما سمّى الله بها الجنّة في سورة الرّعد بأن سمّاها "طوبى":

قال تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ}[1].

"طوبى" اسم من أسماء الجنّة بمعنى: الدّار الطّيّبة والمرجع الحسن والحالة الطيّبة، ومن جملة ذلك شجرة طوبى الّتي في الجّنّة الّتي يسير الرّاكب في ظلّها مائة عام لا يقطعها كما ورد بذلك الأحاديث الصّحيحة. فهذه جنّة "الفردوس" الّتي فيها البساتين الكثيرة والأشجار والأنهار والأعناب الّتي فيها المنظر البهيج والمسمع الطّيّب، طيّبة.

نلاحظ أنّ الآيتين وصفت المؤمنين: الّذين آمنوا وتطمئنّ قلوبهم بذكر الله، الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات. هؤلاء الموصوفون بهذه الصّفات حسُن في الدّنيا حالهم بسبب ذكر ربّهم، فكانت طوبى لهم يعني الحال الطيّبة والمرجع الحسن لهم، فينالون من رضوان الله ومن كرامة الله ومن الرّاحة وتمام الطّمأنينة في هذه الحياة الطّيّبة ما سُمّي طوبى، فإنّهم إذا اطمأنّت قلوبهم صارت حياتهم طيّبة في الدّنيا، وطيّبوها بذكر الله فكان من فضل الله عليهم أن يُرجعهم إلى "طوبى"، فهي طيّبة لمن طيّب حياته بذكر الله.

(١) سورة الرعد: ٢٨-٢٩.

ولا بدّ أن نلاحظ أنَّ هناك مناسبات بين ذكر أسماء الجنّة وبين السّياقات الّتي تأتي فيها، فإنّ سورة (المؤمنون) لمّا أتت بعد سورة الحجّ وكان فيها الصّراع في سورة الحجّ بين أهل الإيمان وأهل الكفر وجاءت سورة المؤمنون تصف المؤمنين وأحوالهم فوصفهم الله بأنّهم {أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ} سيرثون مكان هؤلاء، سيرثون مكان الكافرين.

وفي الرّعد كان السّياق يدور عن الأعمى والبصير، البصير المطمئنّ في سيره بذكر الله، والأعمى الّذي تخبّط في مجريات الحياة، ثمّ ذكر -سبحانه وتعالى- أنّ هذا البصير الّذي يطمئنّ بذكر الله له "طوبى"، كما أنّ له الحياة الطيّبة في الدّنيا فله "طوبى" لمّا يلحق بربّه، نسأل الله من فضله.

"المقام الأمين"

أيضًا من أسماء الجنّة: "المقام الأمين"، كما في سورة الدّخان، و"المقام الأمين" فيه معنيان: معنى الإقامة، ومعنى الأمن:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ (٥١) فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٥٢) يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ (٥٣) كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٥٤) يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ (٥٥) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ ۖ وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (٥٦) فَضْلًا مِنْ رَبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[1].

من أسماء الجنّة: "المقام الأمين" ومن معانيها أنّهم يقيمون في دار آمنة من كلّ نقص، يتمتّعون فيها بأنواع النّعيم، آمنين من انقطاع ذلك النّعيم، آمنين من مضرّته، آمنين من الخروج، آمنين من الموت، آمنين من العذاب، لا شيء يُكدّرهم.

(١) سورة الدخان: ٥١-٥٧.

"مقعد صدق"

وأيضًا من أسماء الجنّة كما في آخر سورة القمر سمّاها الله "مقعد صدق". وهذه التّسمية فيها خبران:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ (٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ}[1].

والمقاعد هي مواضع قعود النّاس، هذا المقعد الّذي يقعدونه والدّار الّتي يجلسون فيها "مقعد صدق" أي يقعدون مقعد صدق لا لغو فيه ولا تأثيم، وفي قوله: {عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} قد يتبادر إلى الذّهن ما ورد في بعض الآثار أنّ أهل الجنّة يدخلون على الملك الجبّار -سبحانه وتعالى- فيقرؤون القرآن على ربّهم -سبحان الله- وقد جلس كلّ إنسان مجلسه على منابر من الدّرر والياقوت والذّهب والفضّة بقدر أعمالهم فلا تقرّ أعينهم بشيء قطّ كما تقرّ بذلك!

ومقعد الصّدق هذا امتدحه الله -عزّ وجلّ- فلا يكون إلّا لأهل الصّدق الّذين صدقوا في إقبالهم على ربّهم وراجعوا أنفسهم وأصلحوا منها، كلّما تراءى لهم عيب سدّوه ومنعوه وحفظوا أنفسهم منه، حتّى يكونوا من الصّادقين فتكون الجنّة مآلهم، ومقاعدها مكانهم، وجوار المليك المقتدر جوارهم! فالحمد لله ربّ العالمين الّذي علّمنا وبيّن لنا وفهّمنا وشوّقنا إلى جنّاته "جنّات النّعيم".

(١) سورة القمر: ٥٤-٥٥.

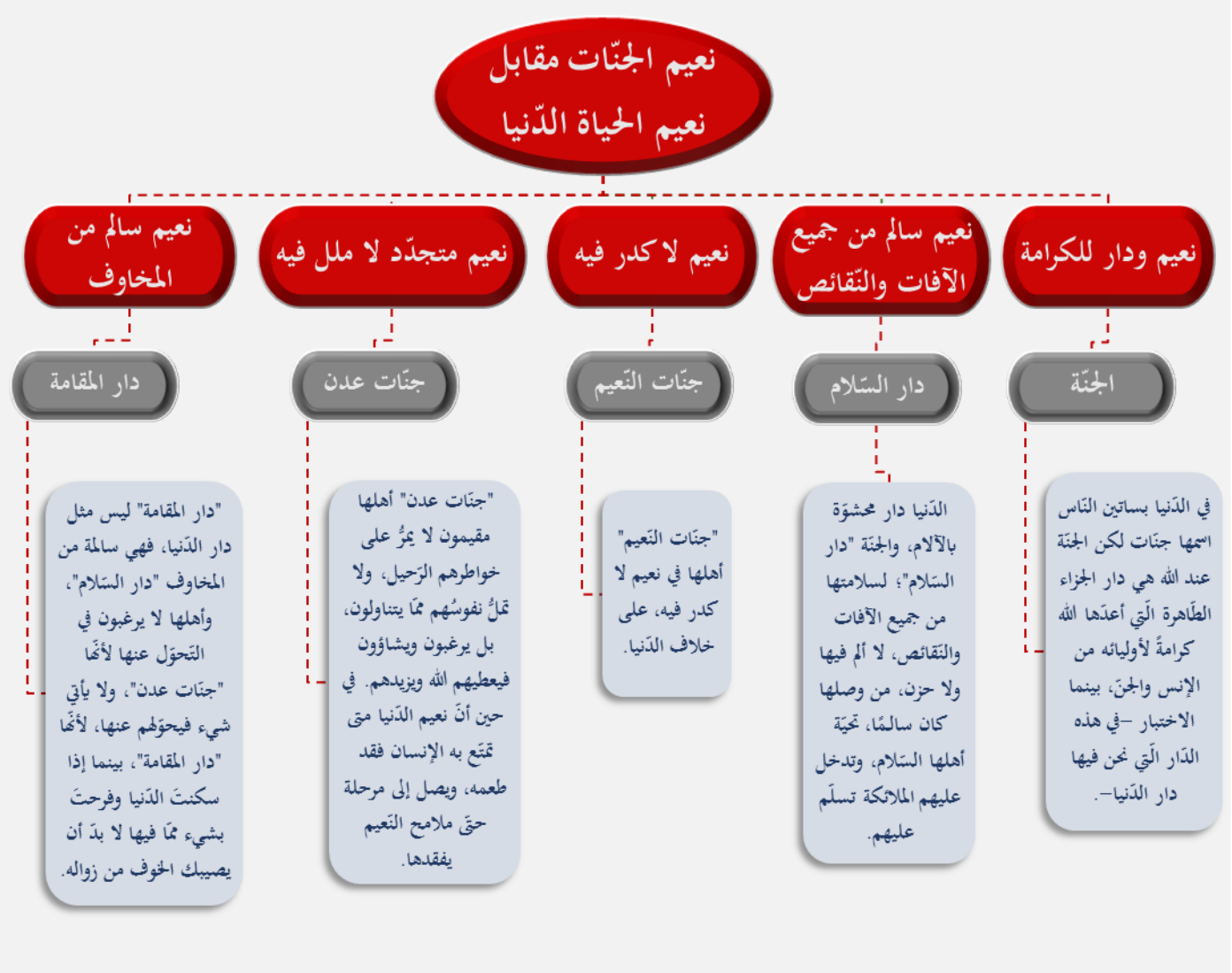
نعيم الجنّات مقابل نعيم الحياة الدّنيا
نعيم وادر للكرامة
نعيم سالم من جميع الآفات والنّقائص
نعيم لا كدر فيه
نعيم متجدّد لا ملل فيه
نعيم سالم من المخاوف
الجنّة
دار السّلام
جنّات النّعيم
جنّات عدن
دار المقامة
في الدّنيا بساتين النّاس اسمها جنّات لكن الجنّة عند الله هي دار الجزاء الطّاهرة الّتي أعدّها الله كرامةً لأوليائه من الإنس والجنّ، بينما الاختبار –في هذه الدّار الّتي نحن فيها دار الدّنيا–.
الدّنيا دار محشوّة بالآلام، والجنّة "دار السّلام"؛ لسلامتها من جميع الآفات والنّقائص، لا ألم فيها ولا حزن، من وصلها كان سالمًا، تحيّة أهلها السّلام، وتدخل عليهم الملائكة تسلّم عليهم.
"جنّات النّعيم" أهلها في نعيم لا كدر فيه، على خلاف الدّنيا.
"جنّات عدن" أهلها مقيمون لا يمرُّ على خواطرهم الرّحيل، ولا تملُّ نفوسُهم ممّا يتناولون، بل يرغبون ويشاؤون فيعطيهم الله ويزيدهم. في حين أنّ نعيم الدّنيا متى تمتّع به الإنسان فقد طعمه، ويصل إلى مرحلة حتّى ملامح النّعيم يفقدها.
"دار المقامة" ليس مثل دار الدّنيا، فهي سالمة من المخاوف "دار السّلام"، وأهلها لا يرغبون في التّحوّل عنها لأنّها "جنّات عدن"، ولا يأتي شيء فيحوّلهم عنها، لأنّها "دار المقامة"، بينما إذا سكنتَ الدّنيا وفرحتَ بشيء ممّا فيها لا بدّ أن يصيبك الخوف من زواله.

خلاصة المبحث الأوّل (أسماء الجنّة)

الحمد لله، رُزقنا من العلم في المبحث الأوّل عن (أسماء الجنّة) أنّ هذه الدّار لها أكثر من أحد عشر اسمًا:

١- **"الجنّة"**: ورد لفظ "الجنّة" في القرآن خمسًا وتسعين مرّةً، وقد سبق الحديث عنها في الدّرس الأوّل.

٢- **"دار السّلام"**: هي السّالمة الّتي سلّمها الله لأهلها من كلّ بليّة وآفة ومكروه. الله السّلام، من أسمائه السّلام، يدعو كلّ أحد إلى داره الجنّة "دار السّلام" الّتي سَلِمت من كلّ ما يكدّرها، من وصلها كان سالمًا، ومن دخلها سلم من الآفات، تحيّة أهلها السّلام، تدخل عليهم الملائكة تسلّم عليهم.

٣- **"جنّة الخلد"**: أهلها في خلود ونعيم مستمرّ ودائم وزائد. سُمّيت بذلك لأنّ أهلها لا يرتحلون عنها أبدًا، وهم فيها في حالة من التّمتّع بلقاء الأحباب ومزاورة الإخوان ما يشرح الصّدور، وأعلى من ذلك كلّه التّمتّع بالنّظر إلى وجه الرّبّ الكريم الرّحيم، وسماع كلامه والحظوة بقربه، والسّعادة برضاه والأمن من سخطه.

٤- **"جنّات عدن"**: هذه الجنّات من اسمها ستعلم أنّها مشتملة على الأشجار، والحدائق الحسنة، والأنهار، والقصور، والمنازل. و(العَدْنُ) في أصله من الإقامة، فأهل الجنّة لا يرغبون أبدًا في التّحوّل عنها، فتتجدّد مشيئتهم للأشياء الّتي يشتهونها فيتجدّد معه النّعيم.

٥- **"دار المقامة"**: "دار المقامة" لا حُزْن فيها ولا إخراج، وما بلغوها بجهدهم؛ إنّما بلغوها لأنّ {رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ}. هذه الدّار الّتي يسكنونها ويقيمون فيها ولا يرغبون عن التّحول ولا يحوّلهم أحد، ذهب عنهم فيها كلّ حزن ولا يعرض لهم الحزن فيها بأيّ سبب أبدًا، لا نقص في أبدانهم ولا في جمالهم ولا في مُلكهم ولا في طعامهم ولا في شرابهم ولا في لذّاتهم ولا في صحّتهم ولا في دوام لبثهم، فَهُمْ في نعيم لا يرون عليه مزيدًا.

٦- **"جنّات النّعيم"**: "جنّات النّعيم" أهلها سيتنعّمون في نعيم لا كدر فيه.

٧- **"جنّات المأوى"**: هي مأوى أماني المتّقين وغاية مقصود المحبّين، يأوي إليها جبريل والملائكة، بل وتأوي إليها أرواح الشّهداء ويأوي إليها كلّ نعيم، وهي في مكان عظيم.

٨- **"الفردوس"**: يُطلق على جميع الجنّة، ويُطلق أيضًا على أفضلها وأعلاها وهو: "الفردوس الأعلى". و(الفردوس) في لغة العرب هو البستان كثير الأشجار وكثير الأعناب، فالمستظلّ تحت هذه الأشجار يرى منظرًا بهيجًا. هذه المنزلة يرثها أهل الإيمان فيرثون منازل الكفّار، لمّا قاموا بما يجب عليهم وأهل الكفر تركوا ما أُمروا به.

٩- **"طوبى"**: هي الدّار الطّيّبة والمرجع الحسن والحالة الطيّبة، فهي طيّبة لمن طيّب حياته بذكر الله.

١٠- **"المقام الأمين"**: فيه معنيان: (الإقامة، والأمن). فمن معانيه أنّهم يقيمون في دار آمنة من كلّ نقص، يتمتّعون فيها بأنواع النّعيم، آمنين من انقطاع ذلك النّعيم، آمنين من مضرّته، آمنين من الخروج، آمنين من الموت، آمنين من العذاب، لا شيء يُكدّرهم.

١١- **"مقعد صدق"**: "مقعد صدق" يقعدونه لا لغو فيه ولا تأثيم. وامتدحه الله -عزّ وجلّ- فلا يكون إلّا لأهل الصّدق الّذين صدقوا في إقبالهم على ربّهم وراجعوا أنفسهم وأصلحوا منها، كلّما تراءى لهم عيب سدّوه ومنعوه وحفظوا أنفسهم منه، حتّى يكونوا من الصّادقين فتكون الجنّة مآلهم، ومقاعدها مكانهم، وجوار المليك المقتدر جوارهم!

فالحمد لله ربّ العالمين الّذي علّمنا، وبيّن لنا، وفهّمنا، وشوّقنا إلى جنّاته "جنّات النّعيم".

المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

أوّلًا: أبوابها

المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

بعدما مررنا على ما تيسّر لنا من أسماء الجنّة نأتي للكلام حول أوصافها، فنبدأ بالكلام في أوصاف الجنّة على أبوابها.

أوّلًا: أبواب الجنّة

ورد ذكر أبواب الجنّة في القرآن ممّا يدلّ على أنّ لها أبوابًا، كما وردت صفات هذه الأبواب في السّنّة، فنبدأ أوّلًا بما ورد في القرآن:

ما ورد عن أبواب الجنّة في القرآن:

في سورة الرّعد: قال تعالى: {جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۖ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[1].

ثبت في هذا الخبر أنَّ الجنّة لها أبواب وهذه أوّل صفة، والملائكة تدخل عليهم من كلّ باب وتهنّئهم بسلامة الوصول، وتأتيهم بالهدايا والعطايا من ربّ العالمين تَكْرِمَةً لهم، فآية الرّعد أثبتت أنّ للجنّة أبوابًا ويدخل الملائكة منها، لكن لا بدّ أن نُثبت أوّلًا أنّ المؤمنين يدخلون منها؛ نرى سورة ص الآية (٥٠):

قال تعالى: {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ (٥٠) مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ (٥١) وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ (٥٢) هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ (٥٣) إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ}[2].

(١) سورة الرعد: ٢٣-٢٤.

(٢) سورة ص: ٥٠-٥٤.

هذه الآيات فيها أنّ {جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ}، وقد مرَّ معنا أنَّ من أسماء الجنّة "عدن" وهي جنّات تطيب فيها الإقامة، {مُفَتَّحَةً} أي حال الجنّة أنّها مفتّحة لهم الأبواب، فلا تُغلق في وجوههم، يُقال للجنّة انفتحي فتنفتح، وهي بأمر الله تُفتح لأجل المؤمنين أصحاب المنازل، أي لا يفتحونها هم بأنفسهم بل هم مخدومون، ومن الخدمة ألّا يفتحوا أبوابها، وهذا من الأمان أنْ ليس في "جنّات عدن" ما يوجب أن تُغلق لأجله الأبواب، تبقى مفتَّحةً، وكما مرّ معنا في الرّعد تدخل عليهم الملائكة، وهذا المعنى أيضًا ظاهر في سورة الزّمر الآية (٧٣) أخبر -سبحانه وتعالى- عن هذه الأبواب:

قال تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}[1].

هذا التّصوير الّذي في سورة الزّمر تصوير دقيق لمشهد الدّخول من الأبواب، فهم يُساقون سَوْقَ إكرام وإعزاز، يُحشرون وفدًا على النّجباء إلى الجنّة، فرحين مستبشرين كلّ زمرة مع أختها، كلّ زمرة يناسب عملها أختها فيسيرون مجتمعين، {حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا} أي وصلوا لتلك الأبواب وهبّت عليهم رياحها ونسيمها، وآن وقت دخولها والخلود فيها ونعيمها! {وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا} فتح إكرام؛ لكرام الخلق، ويرحّب بهم خزنتها يهنّئونهم يقولون: {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ} أي سلام عليكم من كلّ آفة وشرّ {طِبْتُمْ} أي في الدّنيا كنتم أهل الطّيب، قلوبكم طيّبة بمعرفة الله، وبمحبّة الله، ألسنتكم طيّبة بذكر الله، جوارحكم طيّبة بطاعة الله، وبسبب هذا الطّيب: {فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ} فهي الدّار الطّيّبة ولا يليق بها إلّا الطّيّبون.

(١) سورة الزّمر: ٧٣.

هذا الوصف للأبواب يدلّ على أنّ الجنّة هي الدّار العالية الغالية الّتي لا يصل إليها ولا ينالها كلّ أحد، وهاهم الخلائق في ذاك اليوم يستشفعون ويطلبون الحساب حتّى يستريحون ووقتها يصلون فتُفتح لهم الأبواب كرامةً لهم، هذا ممّا جاء به الخبر في القرآن عن أبواب الجنّة.

ما ورد عن أبواب الجنّة في السنّة:

وأبواب الجنّة لها عدد، فقد ورد في الحديث أنّ للجنّة ثمانية أبواب، ولجهنّم سبعة أبواب.

وللأبواب صفةٌ في سعتها فقد أخرج البخاري ومسلم أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجنّة، كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَحِمْيَرَ - أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَى))[1] معنى ذلك أنّ هذه المسافة العظيمة الّتي بين مصاريع الجنّة تدلّ على عظم الأبواب، وقد ورد في الحديث: ((وَإِنَّ لِلْجَنَّةِ ثمانِيَةَ أَبْوَابٍ مَا مِنْهُمَا بَابَانِ إِلَّا يَسِيرُ الرَّاكِبُ بَيْنَهُمَا - يعني بين الباب والباب- سَبْعِينَ عَامًا))[2]، نفس الأبواب واسعة، والأبواب بينها مسافات بين مصراعي الباب.

وهذا يدلّ على سعة الجنّة، ويدلّ على عظيم فضل الله على أهلها، في الحديث: ((مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ الجنّة مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ))[3]، فهذا باب الرّيّان، وهذا باب الجهاد، وهذا باب الصّلاة، وهذا من فضل الله علينا، تنوّعت الأبواب ودخل النّاس من كلّ باب، وهذه الأبواب الثّمانية الّتي تكون كظيظة الزّحام إنّما هي أبواب مرتّبة على الأعمال، وكلٌّ يُوفّق لعمل يلزمه فيدخل من بابه.

---

(١) صحيح البخاري (كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ {ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا} (الإسراء: ٣)، ٤٧١٢).

(٢) المعجم الكبير للطبراني.

(٣) صحيح مسلم (كتاب الزهد والرقائق، ٢٩٦٧).

ولهذه الأبواب حِلَق؛ ورد في الحديث عن الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- أنّه قال: ((أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الجنّة، وَلَا فَخْرَ))[١].

وقال صلّى الله عليه وسلّم: ((فَآتِي بَابَ الجنّة، فَآخُذُ بِحَلْقَةِ الْبَابِ فَأَسْتَفْتِحُ))[٢] يعني حلقة الباب يستفتح بها فهي حلقة حسّيّة تتحرّك.

فإذًا الجنّة لها ثمانية أبواب، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يأتي إلى باب الجنّة فيكون أوّل من يمسك بحلقه، ثمّ ينقسم النّاس في الأبواب: ((فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلَاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الْجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الْجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ، دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ))، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا عَلَى الّذي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا مِنْ ضَرُورَةٍ، هَلْ يُدْعَى أَحَدٌ مِنْ تِلْكَ الْأَبْوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ))[٣] فالأعمال هي مفاتيح الأبواب يُنادى الإنسان من أيّ الأبواب، يعني من أي الأعمال.

وهناك أعمال تسبّب دخول الإنسان من كلّ الأبواب، منها ما أخبر النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في قوله: ((مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلَاثَةٌ مِنْ الْوَلَدِ لَمْ يَبْلُغُوا الْحِنْثَ، إِلَّا تَلَقَّوْهُ مِنْ أَبْوَابِ الجنّة الثّمانِيَةِ، مِنْ أَيِّهَا شَاءَ دَخَلَ))[٤].

---

(١) صفة الجنة لأبي نعيم.

(٢) مسند أحمد، إسناده صحيح على شرط مسلم، رجاله ثقات رجال الشيخين غير حماد بن سلمة، فمن رجال مسلم.

(٣) سنن النسائي (كِتَابُ الْجِهَادِ، بَابُ: فَضْلِ مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ٣١٣٥) قال الألباني: صحيح.

(٤) سنن ابن ماجه (أَبْوَابُ الْجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي ثَوَابِ مَنْ أُصِيبَ بِوَلَدِهِ، ١٦٠٤) قال الألباني: صحيح لغيره، وهذا إسناد حسن في الشواهد.

وفي الحديث المشهور الّذي رواه مسلم: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أَوْ فَيُسْبِغُ - الْوَضُوءَ ثمّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجنّة الثّمانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ))[1] سبحان الله! هذا عمل يسير لكن على من يسَّره الله.

وفي الحديث أيضًا: ((إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَصَّنَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ بَعْلَهَا، دخلت من أي أبواب الجنّة شاءت))[2].

فهذه كلّها أدلّة على أنّ الأعمال مرتبطة بالأبواب، فنخلص الآن إلى هذه النّتيجة:

أنّ "جنّات عدن" مفتّحة لهم الأبواب، وهذه الأبواب يُساق لها أهل الجنان وتُفتح لهم؛ كرامةً ورفعةً لهم.

أبواب الجنّة مفتوحة أم مغلقة؟ الّذي يظهر من الاستفتاح أنّ الجنّة الّتي هي دار كرامة الله سيصل إليها أهلها ويصادفونها مغلقةً ثمّ تُفتح لهم، والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقعقع بابها ويفتحها لأمّته ثمّ لباقي الأمم، ثمّ بعد ذلك تكون مفتوحةً لا تُغلق، زيادةً في تكريمهم؛ لأنّ أهل النّار هناك -نعوذ بالله من النّار- تُغلق النّار بعد دخولهم فيها لمزيد من النّكال فيهم.

وممّا يشهد على أنّها بعدما تُفتح لا تُغلق، حديث أدنى أهل الجنّة: ((وَيَبْقَى رَجُلٌ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ عَلَى النَّارِ وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ الجنّة دُخُولًا الجنّة، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، فَإِنَّهُ قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَدْعُو اللهَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَدْعُوَهُ، ثمّ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فَعَلْتُ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهُ، وَيُعْطِي رَبَّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ مَا شَاءَ اللهُ، فَيَصْرِفُ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ عَلَى الجنّة وَرَآهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثمّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى بَابِ الجنّة، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ

(١) صحيح مسلم (كتاب الطهارة، بَابُ الذِّكْرِ الْمُسْتَحَبِّ عَقِبَ الْوُضُوءِ ٢٣٤).
(٢) صحيح ابن حبان.

وَمَوَاثِيقَكَ لَا تَسْأَلُنِي غَيْرَ الّذي أَعْطَيْتُكَ، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، يَدْعُو اللّهَ حَتَّى يَقُولَ لَهُ: فَهَلْ عَسَيْتَ إِنْ أَعْطَيْتُكَ ذَلِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لَا وَعِزَّتِكَ، فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ اللّهُ مِنْ عُهُودٍ وَمَوَاثِيقَ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَاب الجنّة، فَإِذَا قَامَ عَلَى بَابُ الجنّة انْفَهَقَتْ لَهُ الجنّة، فَرَأَى مَا فِيهَا مِنَ الْخَيْرِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثمّ يَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِي الجنّة، فَيَقُولُ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ عُهُودَكَ وَمَوَاثِيقَكَ أَنْ لَا تَسْأَلَ غَيْرَ مَا أُعْطِيتَ؟، وَيْلَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، لَا أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ، فَلَا يَزَالُ يَدْعُو اللّهَ حَتَّى يَضْحَكَ اللّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْهُ، فَإِذَا ضَحِكَ اللّهُ مِنْهُ قَالَ: ادْخُلْ الجنّة، فَإِذَا دَخَلَهَا قَالَ اللّهُ لَهُ: تَمَنَّهْ، فَيَسْأَلُ رَبَّهُ وَيَتَمَنَّى حَتَّى إِنَّ اللّهَ لَيُذَكِّرُهُ مِنْ كَذَا وَكَذَا، حَتَّى إِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ذَلِكَ لَكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ)).. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: وَذَلِكَ الرَّجُلُ آخِرُ أَهْلِ الجنّة دُخُولًا الجنّة[1]. الشّاهد أنّه يرى أهل الجنّة، أي أنَّ أبوابها مفتوحة، معنى ذلك أنّ الجنّة أبوابها مغلقة لا تفتح حتّى يستفتحها النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ثمّ تبقى بعد ذلك مفتوحةً.

وأمّا الآن فهي مغلقة لا تُفتح إلّا في وقتين: إذا دخل شهر رمضان فُتحت أبواب الجنّة وغُلّقت أبواب النّار، وأيضًا في الحديث المتّفق عليه أنّه تُفتح أبواب الجنّة في كلّ يوم اثنين وخميس، ثمّ عندما يأتي الخلق في ذاك اليوم تكون مُغلقةً حتّى تُستفتح من الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، فالرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- كما في الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: ((آتِي بَابَ الجنّة يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ لَا أَفْتَحُ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ))[2] رواه مسلم.

(١) صحيح مسلم (كتاب الإيمان، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، ١٨٢).

(٢) صحيح مسلم (كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابٌ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ يَشْفَعُ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا أَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا»، ١٩٧).

في حديث آخر أيضًا يقول النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((الجنّة حُرِّمَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الْأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي))[1].

ثمّ أوّل من يدخل الجنّة بعد النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من أمّته هو أبو بكر الصّدّيق -رضي الله عنه- فقد ورد في الحديث الّذي رواه أبو داوود أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول لأبي بكر: ((أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الجنّة مِنْ أُمَّتِي)).

فهذا خبر أبوابها، وخبر فتح هذه الأبواب، وكيف أنّ نبيّنا أوّل من يستفتحها، وأمّته أوّل من تدخلها بعد الأنبياء، فهذا فضل الله يُؤتيه من يشاء، أسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهلها ممّن تُفَتَّح لهم فإذا دخلوها دخل عليهم الملائكة فقالوا لهم {سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ}[2] هذا وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) المعجم الأوسط.

(٢) سورة الرّعد: ٢٤.

اللّقاء الرّابع

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

ثانيًا: ريحها

ثالثًا: تربتها

رابعًا: أشجارها وثمارها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله نشوّق أنفسنا لـ"جنّات النّعيم"! نسمع من كلام الرّسول الكريم ومن كلام ربّنا الرّحيم ما يُعرّفنا بهذا المآل العظيم الّذي هو الفوز العظيم كما وصف ربّ العالمين.

هذا حقّ لا مرية فيه، يجب على الخلق الاشتغال به، والغفلة عنه تُميت القلب وتُشعل نار الشّهوة، والتّفكير فيه يُطفئ تلك النّار ويُيسّر كلّ عسير من الطّاعات، ويُقوّي على الجهاد، ويُضاعف الحسنات، فإنَّ عمل المشتاق ليس كعمل الخالي! والنّائحة الثّكلى ليست مثل النّائحة المستأجرة، فمن اشتاق اندفع إلى ربّ العالمين يسأله، ومن ضَعُفَ شوقه قلّ سؤاله وقلّت عنايته.

ثانيًا: ريح الجنّة

وممّا نشوّق أنفسنا به أنّ لهذه الدّار دار الكرامة ريح! فللجنّة ريح ثبت عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- الخبر عنها في كثير من الأحاديث، وريح الجنّة هو عُرفها الّذي يُدرك عن طريق الأنف وهي رائحة عبقة زكيّة تملأ كلّ الجنّة ويُدركها من في الجنّة والمقبل عليها.

وقد ورد في الحديث الّذي رواه أحمد والنّسائي: ((وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ سَبْعِينَ عَامًا))[1] المقبلون على الجنّة أوّل ما يقابلهم من نعيمها ريحها! وفي رواية: ((وَإِنَّ رِيحَهَا تُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا))[2]، وقد ورد في بعض الرّوايات الصّحيحة: ((وَرِيحُهَا يُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ))[3]!

---

(١) سنن النّسائي (كِتَابُ الْقَسَامَةِ، باب تَعْظِيمُ قَتْلِ الْمُعَاهِدِ، ٤٧٤٩) صحيح.

(٢) صحيح البخاري (كِتَابُ الجِزْيَةِ، بَابُ إِثْمِ مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا بِغَيْرِ جُرْمٍ، ٣١٦٦).

(٣) المستدرك على الصّحيحين للحاكم.

وهذه الألفاظ لا تعارض بينها -كما ذكر ابن القيّم- أنّ: "ريح الجنّة نوعان:

١. ريح يوجد في الدّنيا تشمّه الأرواح أحيانًا لا تدركه العباد،

٢. وريح يُدرك بحاسّة الشّمّ للأبدان كما تشمّ روائح الأزهار وغيرها،

وهذا يشترك أهل الجنّة في إدراكه في الآخرة من قُرب وبُعد، وأمّا في الدّنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله"[١] وأوليائه، كما ورد في الحديث أنّ أنس بن النّضر وجد رائحة الجنّة، فقد ثبت في الصّحيحين عن أنس -رضي الله عنه- أن سعد بن معاذ مرَّ بأنس ابن النضر يوم أحد فَقَالَ لَهُ أَنَسٌ: يَا أَبَا عَمْرٍو، أَيْنَ؟ فَقَالَ: وَاهًا لِرِيحِ الجنّة أَجِدُهُ دُونَ أُحُدٍ، قَالَ: "فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى قُتِلَ"، قَالَ: "فَوُجِدَ فِي جَسَدِهِ بِضْعٌ وَثمانُونَ مِنْ بَيْنِ ضَرْبَةٍ وَطَعْنَةٍ وَرَمْيَةٍ"[٢].

قال ابن كثير: "فَقَدْ وَجَدَ أَنَسٌ رِيحَ الْجَنَّةِ فِي الْأَرْضِ وَهِيَ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ"[٣]!

معنى ذلك أنّ ريحها قد تصل للأنبياء وللرّسل وهم في الدّنيا، وقد تصل لخاصّة من الأصفياء كما في موقف أنس بن النّضر، وهذه الرّيح ككلّ أوصاف الجنّة لم يشمّ مثلها أحد، وإذا اشتمّها أحد دخلت إلى قاع روحه فحرّكتها حتّى تتحفّز للإقبال على الله، وهذا ما كان مع أنس بن النّضر -رضي الله عنه- فإنّه شمَّ رائحة الجنّة دون أُحُد، حتّى أنّه في بعض الرّوايات كان في يده تمرات فاستثقل الوقت الّذي يقطعه عن أن يصل إلى تلك الرّائحة؛ حرّكت أعماق فؤاده وجذبتها إلى الله، فتحرّك ممتثلًا أمر الله!

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ابن قيّم الجوزيّة.

(٢) متّفق عليه.

(٣) البداية والنّهاية (ط هجر)، ابن كثير.

ثالثًا: تربة الجنّة

والجنّة كما أنّ لها ريح لها تُربة. تربة الجنّة شيء آخر يختلف عن تربة الأرض، بل هي بحدِّ ذاتها متعة للنّاظرين، تشترك الحواسّ في التّنعّم بها من جهة رائحتها، من جهة منظرها، من جهة ملمسها، فأصل هذه التّربة مُبَرَّأ من العيوب، فما يخرج فيها لا ضرر ولا فيها نقص، بل طاب أصلها وطاب ما يخرج منها.

تربة الأرض من الرّمال، وتربة الجنّة من المسك الأبيض الخالص والزّعفران، وقد رُوي هذا عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كما في البخاري، ومسلم: ((ثمّ أُدْخِلْتُ الجنّة، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ -أي القبة من اللؤلؤ- .. وَإِذَا تُرَابُهَا المِسْكُ))[1].

وقد ورد في الحديث أيضًا أنّ الصّحابة سألوا الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: يَا رَسُولَ اللهِ، حَدِّثْنَا عَنِ الجنّة، مَا بِنَاؤُهَا؟ قَالَ: ((لَبِنَةُ ذَهَبٍ وَلَبِنَةُ فِضَّةٍ، وَمِلَاطُهَا الْمِسْكُ الْأَذْفَرُ، وَحَصْبَاؤُهَا اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ، وَتُرَابُهَا الزَّعْفَرَانُ، مَنْ يَدْخُلُهَا يَنْعَمُ وَلَا يَبْأَسُ، وَيَخْلُدُ وَلَا يَمُوتُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ))[2].

فهذه الأحاديث ورد فيها أنّ تربة الجنّة من المسك الخالص، وأيضًا من الزّعفران، وقد يكون المراد: أنَّ التّراب يكون من الزّعفران فإذا خالطه الماء صار مسكًا، ولذلك ورد في الحديث "ملاطها المسك" الملاط يعني الطّين؛ ترابها الزّعفران وطينها المسك، وممكن أن يكون المقصود أنّها زعفران باعتبار لونها، ومسكًا باعتبار رائحتها، فهذا ترابها تربتها زعفران اللّون مسك الرّائحة، فلون الزّعفران لون البهجة والإشراق والرّائحة رائحة المسك.

---

(١) متّفق عليه.

(٢) مسند الإمام أحمد، حديث صحيح بطرقه وشواهده.

فمعنى ذلك أنّ حواس أهلها جميعها متمتّعة، العين تتمتّع بترابها، وبملمسها يتمتّع البدن، وبرائحتها يتمتّع الأنف، فهذا كلّه من النّعيم أن تكون تربة هذه الجنّة هذه صفتها.

رابعًا: أشجار الجنّة وثمارها

ثمّ نأتي لأشجار الجنّة، نبدأ بما ورد في سورة النّساء، والكلام حول الأشجار والثّمار كلام يطول، نأخذ منه ما يتيسّر.

قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا}[1].

ذُكر ما في الجنّات من أنّها {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} فهذا الظّلّ الّذي يتظلّلون به إنّما هو من أشجارها، ووصفه بأنّه ظلّ ظليل يدلّ على الكثرة، فإنّ من تمام محاسن الجنّات أن تكون كثيرة الظّلّ، والظّلّ إنّما يكون مع الشّمس فلا يوجد شمس في الجنّة، وسيأتي أنّ الجنّة ظلّها ممدود!

فهذا والله أعلم خبر عن جمال الجنّات ولذّة التّنعّم فيها، فإنّهم يرون النّور مع انتفاء الحرّ، ولاحظوا {ظِلًّا ظَلِيلًا} أي بالغ الغاية في الحسن، ولتصوّر هذا: فإنّنا أوّل وقت شروق الشّمس قبل أن يخرج قرنها تكون الدّنيا كأنّها في حالة ظلّ، نور لكن لا توجد حرارة الشّمس، نصلّي الفجر تبدأ أشعّة الشّمس تُلقي على الكون نورًا، لكن دون أن يظهر قرنها فيكون الظّلّ ممدودًا، لا حرارة للشّمس، ولا وجود للشّمس، لكن النّور موجود، وهذه الفترة هي الّتي يُمنع أن نصلّي فيها إلى أن ترتفع الشّمس بمقدار رمح، فهذه الفترة هي الّتي نتصوّر جوّ الجنّة بها أن يكون بمثل هذا: لا حرّ الشّمس ولا الظّلام، إنّما التّنعّم برؤية النّور. مثلها ما ورد في سورة الإنسان:

---

(١) سورة النّساء: ٥٧.

قال تعالى: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}[1].

تأمّل: {وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا} دنوّ الظّلال بمعنى قربها منهم، إذًا هم يجلسون متّكئين وظلال شجر الجنّة قريب منهم، والظّلال عادةً لا توصف بالقُرب، والجنّة لا شمس فيها فيُستظلّ من حرّها! فيُفهم أنّ هذه الدّوح قريبة من مجالسهم، لا يخشون أن تؤذيهم لا بشوكها ولا بأذاها، وهذا ممّا يزيدها بهجةً وحُسنًا مثلما يأتي أنّ قطوفها دانية، ولذا أتت الجملة الّتي بعدها: {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} أي سُخّرت لهم قطوف تلك الأشجار وسُهّلت لهم بحيث ما فيها التواء ولا صلابة تتعب قاطفها، لا يتمطون إليها بل يجتنونها بأسهل تناول، فالقطوف تكون مذلّلة {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} القطوف مثل عنقود العنب، ومثل عنقود التّمر، فالقطوف هذه جمع قطف المقتطف.

فإذًا الأشجار قريبة والقطف منها مذلّل تذليلًا شديدًا متناهيًا {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} فهم متّكؤون فيها على الأرائك، لا يرون فيها شمسًا ولا زمهريرًا، ودانيةً عليهم ظلالها، متّكئين، وجلسة الاتّكاء هذه جلسة ارتياح وهي من شعائر الملوك وأهل البذخ.

{عَلَى الْأَرَائِكِ} هذه سُرُر وفيها وسادة ومعها سُتُر {لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}[2] أي الشّمس ليست موجودةً، {وَلَا زَمْهَرِيرًا} أي لا يوجد البرد فهواء الجنّة معتدل لا ألم فيه بحال،

(١) سورة الإنسان: ١٤-١٩.

(٢) سورة الإنسان: ١٣.

فيها أشجار دانية على أصحابها الظّلال، أي الشّجرة تقترب ويكون قطفها يسيرًا، فهذه حال من أحوال الشّجر، وأيضًا نجد هذا واضحًا جدًّا في سورة الرّحمن:

قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[١].

{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} هنا الإشارة إلى وصف الجنّتين، والأفنان جمع فنن والفنن: هو الغصن، فذواتا أفنان أي: ذواتا غصون، فهي أفنان عظيمة، أي أنَّ الأشجار لها أغصان عظيمة كثيرة الإيراق ورقها كثير، كثيرة الإثمار، فلما نُكِّرت {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} إنّما قُصد بالتّنكير التّعظيم.

ثمّ قال تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}[٢].

{فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ} الفواكه في أفنانها، أي أنَّ فيها أغصانًا والأغصان فيها فواكه، وأنواع فواكه الجنّة كثيرة. وأمّا التّثنية: {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} التّثنية هي بمعنى الجمع، ويُشار إلى هذا أنّ الفواكه لها نوعان نوع يُؤكل رطبًا ونوع يُؤكل يابسًا، فهذا من معاني التّثنية، وأصناف هذه الفواكه تُذكر الآن في السّياق أيضًا.

فنقطة البداية في ذكر شجرها أنّها: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} ثمّ إنّ: {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ}.

قال تعالى: {فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ (٥٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٥) فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ (٥٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٧) كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ (٥٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا

(١) سورة الرّحمن: ٤٦-٤٨.

(٢) سورة الرّحمن: ٤٩-٥٢.

تُكَذِّبَانِ (٥٩) هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ (٦٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦١) وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ (٦٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٣) مُدْهَامَّتَانِ (٦٤) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[١].

{وَمِنْ دُونِهِمَا} يمكن أن تُفهم: من دون تلك الجنّتين اللّتين لمن خاف مقام ربّه، ويمكن أن تُفهم "دون" بمعنى غير، أي {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} وجنّتان أخريان، مثل: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}[٢].

أتى الوصف هنا بشيء من التّفصيل لحسن هاتين الجنّتين، ومتّفق على أنّ الحُسْنَ يوصف في التّرغيب للسّعي لنيل ما عند الله، فيُقال عن هاتين الجنّتين أنّهما {مُدْهَامَّتَانِ} من الدّهمة وهي اللّون الأسود، وهذا فيه مبالغة في شدّة خضرة أشجارها حتّى أنّ الرّائي يراها من بعيد كأنّها سوداء، ولذلك زوج النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- سودة إنّما اسمها أتى من هذا المعنى، أي من شدّة الخضرة، وهذا وصف لا يأتي إلّا إذا التفت الأشجار وقويت خضرتها وكان الشّجر ريّانًا، فإذا كان ريّانًا اشتدّت خضرة أوراقه حتّى تقرب من السّواد، فمعنى ذلك أنّ شجر الجنّة شديد الرّيّ، والنّاظر إليه يرى خضرةً شديدةً تُبهج القلب فيراها {مُدْهَامَّتَانِ}.

قال تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ (٦٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٧) فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[٣].

{فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} هذا وصف تفصيليّ، هناك قيل: {فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ} وهنا ذُكر شيء من التّفاصيل: النّخل والرّمّان، فماذا يُقصد بذلك؟ أوّلًا الرّمّان والنّخل لا يشترك مع رمّان الدّنيا ونخلها إلّا بالاسم، وهذا الرّمّان وهذا النّخل من الثّمرات الّتي تُعجب

(١) سورة الرّحمن: ٥٣-٦٥.
(٢) سورة يونس: ٢٦.
(٣) سورة الرّحمن: ٦٦-٧١.

النّاظر إليها، فيها عموم وفيها كثرة، فهي فاكهة وطعام ودواء، فلذلك قيل: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ} يتفكّهون فيها {وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، وهذا كلّه لما لهذه المطعومات عند النّاس من مكانة.

كما جاء في بعض الرّوايات: جَاءَ أُنَاسٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، أَفِي الجنّة فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ))، قَالَ: أَفَيَأْكُلُونَ كَمَا يَأْكُلُونَ فِي الدّنيا؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَأَضْعَافٌ))، قَالَ: أَفَيَقْضُونَ الْحَوَائِجَ؟ قَالَ: ((لَا، وَلَكِنَّهُمْ يَعْرَقُونَ وَيَرْشَحُونَ؛ فَيُذْهِبُ اللَّهُ بِمَا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ أَذًى))[1].

وفي هذا نَقل ابن كثير عن ابن عبّاس أنّ النّخل لها سعف، وهذا السّعف يكون من الذّهب، ويكون من الزّمرد، وقد ورد في الحديث أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((نظرت إلى الجنّة فإذا الرمان من رمانها كالبعير المقتب))[2] أي الضّخم، فالرّمّانة مثل البعير.

وفي سورة الواقعة مباشرةً بعد سورة الرّحمن يأتي الخبر عن أصحاب اليمين، ونرى أيضًا كيف أتت أخبار عن شجر الجنّة:

قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ (٣٣) وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ (٣٤) إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا (٣٦) عُرُبًا أَتْرَابًا}[3].

نبدأ من الكلام حول أصحاب اليمين أنّهم {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ}، فالسّدر هذا شجر له ورق عريض وفيه شوك، ضعيف في غصونه فهو ذو شوك، وهذا السّدر يُجعل في الدّنيا غسولًا يُنظّف به، حين يُوضع في الماء تخرج معه رغوة مثل الصّابون، وثمرة السّدر في الدّنيا النّبق، وهم

(١) هذا غريب من هذا الوجه، لأنَّ حصين بن عمر الأحمسي تكلَّموا فيه، ولكن قد روي من غير هذا الوجه.
(٢) ابن أبي حاتم. وابن عساكر عن أبي سعيد مرفوعا.
(٣) سورة الواقعة: ٢٧-٣٧.

يستعملونه ليُفَوِّح الفم ويُفَوِّح الثّياب، فالسّدر من شجر البادية وهم يعرفونه وكان محبوبًا عند العرب، ولم يكونوا يستطيعون أن يجعلوا منه في جنّاتهم أو في حوائطهم؛ لأنّه ينبت في الأرض بلا راعٍ له، ولا يعيش إلّا في البادية؛ فخُصَّ بالذّكر إغرابًا له أن يأتي فيكون موجودًا في الجنّة، وهو معروف بوفرة الظّلال وبتهدّل الغصون.

ووُصف بأنّه {مَخْضُودٍ} أي: مُزَال شوكه، فبهذا يكتمل محاسنه بانتفاء ما فيه من الأذى.

{وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ} الطّلح من شجر الحجاز يكون في بطون الأودية، شديد الطّول وغليظ السّاق وله شوك كثير وهو قليل الأوراق، لكنّه شديد الخضرة وكثير الظّلّ يلتفّ، فيه التفاتات في أغصانه. وهذا الشّجر (الطّلح) فيه رائحة، فيوم القيامة يكون منضودًا بمعنى متراصًّا متراكب الأغصان فتكثر على أهل الجنّة رائحته، يأتيهم رائحة الطّلح ويأتيهم ظلّ السّدر.

وقيل أنّ الطّلح هذا له ثمر طيّب، وشجره جميل، ولم يكن مشهورًا عند العرب، إنّما يُعرف عند غيرهم، فشُوِّقوا أنَّ في الجنّة مرادهم.

ولا زال لنا وقفة مع أشجار الجنّة تكون إن شاء الله في لقائنا القادم. هذا وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّقاء الخامس

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

يتبع رابعًا: أشجارها وثمارها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أشجارها وثمارها

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين، هذا هو مجلسنا الخامس من مجالس "التّشويق إلى الجنّة"، هذه الدّار مآل المتّقين وغاية ما يشتاق إليه المشتاقون، نعبد الله بالتّعرّف إليها والشّوق إليها، وهذا من فضل الله علينا أنَّ معرفتها والشّوق إليها بالإضافة إلى أنّه يدفع العبد للعمل فهو بنفسه باب من أبواب الأجر، فربّنا الرّحيم الودود قد قال: {وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ}[1] فاقْبَل الدّعوة وتعرّف عليها، واشْتَقْ إليها، ولتحثّ نفسك على السّير السّريع إلى هذه الدّار السّالمة من كلّ الآفات، نسأل الله لنا ولوالدينا ولوالديهم ولذرارينا ولأحبابنا وللمسلمين أن تكون هي المآل وأن يُحسن لنا الختام، اللّهمّ آمين.

قد مرَّ معنا أوصاف للجنّة بعدما انتهينا من أسماء الجنّة، وفي أوصافها تحدّثنا سويًّا عن أبواب الجنّة، وكيف أنّها ثمانية أبواب عظيمة يحتشد النّاس في ذاك اليوم عليها، وأيضًا رُزقنا من العلم أن عرفنا أنّ للجنّة ريح طيّبة يشمّها أهل الجنّة، وتَلَمّحنا في بعض النّصوص أنّه يمكن أن يشمّها أهل الدّنيا من الأنبياء والمرسلين والأولياء الصّالحين.

وأيضًا مرَّ معنا في أوصاف الجنّة الكلام حول تربة الجنّة، لونها مثل الزّعفران، وريحها المسك، تتمتّع العين بالنّظر إليها، ويتمتّع البدن بلمسها، ويتمتّع الأنف بشمّها، فأيّ دار هذه الّتي تُرْبَتها تُمَتِّع!

ثمّ وصلنا للكلام حول أشجار الجنّة وهذه الأشجار لها خاصّيّتها، فالجنّة سُمّيت بهذا الاسم وأُطلق عليها هذا الاسم العامّ بسبب أشجارها، والأشجار من أكثر ما وُصف في هذه الجنّة، واليوم النّاس إن أرادوا مدحًا لأرض وإن أرادوا مكانًا لقضاء الصّيف وللتّمتّع تجدهم يبحثون عن أرض خضراء ذات أشجار وأنهار وذات ثمار، وما تسمع في مدح أرض إلّا أنّها خضراء جبالها

(١) سورة يونس: ٢٥.

مكسوّة بالخضار، ولا تجدهم إلّا وهم يصوّرون مثل هذه الأماكن والأنهار الجارية، وكلّ هذا حقيقةً لا شيء! بل إنّ الله -عزّ وجلّ- يقول: {وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا}[1]، فلا بدّ أن تعرف أنّ كلّ هذا {شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا} ومعناها أنّها متاع زائل.

فهذه الأشجار الّتي في "جنّات النّعيم" كما مرَّ معنا لها أوصاف كثيرة، نقف اليوم على الأوصاف الّتي في شجر الجنّة، وقد جاء في الأحاديث الصّحيحة بذكر الكثير من أخبار أشجار الجنّة وثمارها وصفاتها الّتي لا تُشابه أشجار الدّنيا ولا تماثلها إلّا في الأسماء فقط.

أخرج التّرمذي وابن حبّان وغيرهما -حديث له شواهد- ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: ((مَا فِي الجنّة شَجَرَةٌ إِلَّا وَسَاقُهَا مِنْ ذَهَبٍ!))[2] وهذا وصف بديع، وكيف سيكون، وما الحال الّتي تكون عليها هذه الأشجار الّتي يكون ساقها من ذهب! الله أعلم بجمالها وكمالها وبهجتها الّتي تطغى على النّفوس.

سنعرض إن شاء الله في هذه المناقشة بعض ما ورد حول أشجار الجنّة:

شجرة طوبى

نبدأ بشجرة طوبى، وقد مرّ معنا في النّقاش أنّ من أسماء الجنّة "طوبى" وهي بمعنى طَيِّبَة، فهذا اسم عامّ للجنّة، وأيضًا هو اسم شجرة من أشجارها، وقد أُفردت بالذّكر من أجل جمالها ومكانتها وعظم خلقها حتّى أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أكثر في الدّعاء لمن يعمل بعض الأعمال الصّالحة بطوبى، وإن أدركتَ طوبى فقد أدركتَ الجنّة -نسأل الله من فضله-.

---

(١) سورة القصص: ٦٠.

(٢) سنن الترمذي (أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي صِفَةِ شَجَرِ الْجَنَّةِ، ٢٥٢٥) قال الألباني صحيح.

ومن ذلك أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- قد قال كما روى الحديث الإمام أحمد، وهو حديث صحيح بشواهده، قال: ((طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا))[1] نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله!

وفي الحديث أيضًا أنَّ رجلًا قال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: يَا رَسُولَ اللَّهِ، طُوبَى لِمَنْ رَآكَ، وَآمَنَ بِكَ، قَالَ: ((طُوبَى لِمَنْ رَآنِي وَآمَنَ بِي، ثمّ طُوبَى، ثمّ طُوبَى، ثمّ طُوبَى لِمَنْ آمَنَ بِي وَلَمْ يَرَنِي)) -آمنّا بالله وآمنّا برسول الله صلّى الله عليه وسلّم- قَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَمَا طُوبَى؟ قَالَ: ((شَجَرَةٌ فِي الجنّة مَسِيرَةُ مِئَةِ عَامٍ، ثِيَابُ أَهْلِ الجنّة تَخْرُجُ مِنْ أَكْمَامِهَا))[2] الله أكبر، الله أكبر!

وفي الحديث الّذي أخرجه أيضًا الإمام أحمد، يقول: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَأَلَهُ عَنِ الْحَوْضِ، وَذَكَرَ الجنّة، ثمّ قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فِيهَا فَاكِهَةٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ، وَفِيهَا شَجَرَةٌ تُدْعَى طُوبَى))، فَذَكَرَ شَيْئًا لَا أَدْرِي مَا هُوَ؟ قَالَ: أَيُّ شَجَرِ أَرْضِنَا تُشْبِهُ؟ قَالَ: ((لَيْسَتْ تُشْبِهُ شَيْئًا مِنْ شَجَرِ أَرْضِكَ)). فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَتَيْتَ الشَّامَ؟)) فَقَالَ: لَا، قَالَ: ((تُشْبِهُ شَجَرَةً بِالشَّامِ تُدْعَى الْجَوْزَةُ، تَنْبُتُ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، وَيَنْفَرِشُ أَعْلَاهَا))، قَالَ: مَا عِظَمُ أَصْلِهَا؟ -يريد أن يتخيّلها- قَالَ: ((لَوْ ارْتَحَلَتْ جَذَعَةٌ مِنْ إِبِلِ أَهْلِكَ -والجذعة هي الابل الفتية- مَا أَحَطْتَ بِأَصْلِهَا حَتَّى تَنْكَسِرَ تَرْقُوَتُهَا هَرَمًا -أي: تحتاج عمرًا مديدًا حتّى تُحيط بأصلها جذعها- ((قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ؟ قَالَ: ((مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ، وَلَا يَفْتُرُ)) -أي هذا النّوع من الغراب يسير شهرًا لا ينثني ولا يحطّ على ساق، بهذا المقدار يكون العنقود- قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْحَبَّةِ؟ قَالَ: هَلْ ذَبَحَ أَبُوكَ تَيْسًا مِنْ غَنَمِهِ قَطُّ عَظِيمًا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَسَلَخَ إِهَابَهُ فَأَعْطَاهُ أُمَّكَ، قَالَ: اتَّخِذِي لَنَا مِنْهُ دَلْوًا -أي أنّ مثل هذا الدّلو الّذي يكون ضخمًا مثله تكون

(١) سنن ابن ماجه (كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ، ٣٨١٨) قال الألباني صحيح.

(٢) قال الشيخ شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف دون قوله "طوبى لمن رآني وآمن بي، وطوبى لمن آمن بي ولم يرني" فحسن لغيره.

حبّة العنب- قَالَ: نَعَمْ، قَالَ الْأَعْرَابِيُّ: فَإِنَّ تِلْكَ الْحَبَّةَ لَتُشْبِعُنِي وَأَهْلَ بَيْتِي؟ قَالَ: ((نَعَمْ وَعَامَّةَ عَشِيرَتِكَ))[١].

وقد ورد أيضًا أنّ أكمام الجنّة تخرج منها حلل أهل الجنّة وأكمامها، أي: كالحوض يخرج منه الأشياء.

وقد ورد عن شهر بن حوشب كما روى الأصفهاني قوله: "طوبى شجرة في الجنّة كلّ شجر الجنّة منها أغصانها ترى من وراء سور الجنّة".

فهذه شجرة طوبى وهذه بعض الآثار الّتي وردت فيها. وأيضًا قد ورد في السّنّة أنّ هناك شجرةً يسير الرّاكب في ظلّها مائة عام كما روى البخاري ومسلم: ((إِنَّ فِي الجنّة لَشَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِئَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا))[٢] والمضمّر الّذي فيه عضلات.

وأيضًا ورد: ((إِنَّ فِي الجنّة شَجَرَةً، يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّهَا مِئَةَ عَامٍ، لاَ يَقْطَعُهَا، وَاقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}[٣])) [٤]. وهذا الحديث أيضًا في البخاري.

وورد قول الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((لَقَابُ قَوْسٍ فِي الجنّة، خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ وَتَغْرُبُ))[٥].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: "بلغني أنّ في الجنّة شجرة يسير الرّاكب في ظلّها مائة سنة ما يقطعها".

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند والطبراني وابن عبد البر ورجاله موثوقون وقد صححه القرطبي.

(٢) صحيح البخاري (كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ٦٥٥٣).

(٣) سورة الواقعة: ٣٠.

(٤) صحيح البخاري (كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ}، ٤٨٨١).

(٥) صحيح البخاري (كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَقَابِ قَوْسِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ، ٢٧٩٣).

إذًا هذا نوع آخر من الشّجر، يوجد شجرة طوبى وفي الشّجرة الّتي يسير الرّاكب في ظلّها مائة عام.

أيضًا من الشّجر المذكور المخصّص:

سدرة المنتهى

كما في سورة النّجم وقد سُمّيت بسدرة المنتهى والله أعلم كما يذكر العلماء بسبب أنّ الملائكة لا تتجاوزها بل تنتهي إليها، وهذه الشّجرة سدرة المنتهى قد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((ثمّ رُفِعَتْ إِلَيَّ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا نَبْقُهَا مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الفِيَلَةِ، قَالَ: هَذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى))[1] وفي رواية: ((ثمّ انْطَلَقَ بِي حَتَّى أَتَى بِي سِدْرَةَ الْمُنْتَهَى)) قَالَ: ((فَغَشِيَهَا أَلْوَانٌ مَا أَدْرِي مَا هِيَ)) قَالَ: ((ثمّ أُدْخِلْتُ الجنّة، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ))[2]. فغشيها ألوان، معناه: أنّه أتاها شيءٌ أتى بهذه الألوان لكن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: ((فغشيها ألوان لا أدري ماهي)) أي لا يستطيع أحد أن يصف هذه الألوان!

ثمار الأشجار

ممّا ورد أنَّ الرّجل إذا نزع ثمرةً من الجنّة عادت مكانها أخرى! فهذا المكان العظيم الّذي قد وعد به ربّ العالمين، لا يشابه الدّنيا بشيء.

يقول سلمان الفارسي لجرير بن عبدالله -رضي الله عنه- وهو يناقشه، أخذ عودًا صغيرًا من الأرض حتّى أنَّ جريرًا كان يقول عُوَيّدًا، يقول جرير: "لا أكاد أراه بين أصابعه -من صغره- قال يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنّة لم تجده، قلت يا عبدالله: فأين النّخل والشّجر؟ -أين سينبت؟- قال: أصولها اللّؤلؤ والذّهب وأعلاها الثّمر!" وهذا من كلام سلمان الفارسي.

---

(١) صحيح البخاري (كتاب مناقب الأنصار، بَابُ المِعْرَاجِ، ٣٨٨٧)

(٢) مسند الإمام أحمد، إسناده صحيح على شرط مسلم.

فالمقصود أنّها دار غير هذه الدّار، وألوانها غير هذه الألوان، وتشابك فروعها غير هذا التّشابك، لكنّها كلّها مليئة بالحيويّة {مُدْهَامَّتَانِ}[1].

وعلى هذا فلا أخشاب ولا هذه الأمور، بل لؤلؤ وذهب وفضّة وجواهر كريمة، وكلّها تملأ العين بالبهجة، فنسأل الله العظيم من فضله ونسأله رحمةً من رحماته تبلّغنا جنّته فلولا رحمته لهلكنا.

كيف تزداد الأشجار؟

وممّا يُذكر في هذا الباب أنّ الجنّة مليئة جدًّا بالأشجار بل أنّها تزداد!

هذا كما في الحديث الّذي قال فيه الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السّلام وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجنّة طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ المَاءِ، وَأَنَّهَا قِيعَانٌ، وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ))[2].

القيعان أي: المكان المستوي الواسع ويعلوه ماء، وهو اسم مكان مناسب للزّراعة، فإذا جاءه ماء القيعان أمسكته، فإذا نبت فيه نبات استفاد.

وفي الحديث أيضًا: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجنّة))[3].

مدلول الحديثين: أنَّه بذكر الله يُغرس في الجنّة، وبذلك يمكن أن تزيد أشجار جنّة أحد على أشجار الثّاني على حسب ذكره لربّه.

---

(١) سورة الرّحمن: ٦٤.

(٢) سنن الترمذي (أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٣٤٦٢) قال الألباني: حسن.

(٣) سنن الترمذي (أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٣٤٦٤) قال الألباني: صحيح.

وهنا يُناسب الكلام عن ثمار الجنّة، وهذه الثّمار كثيرة مباركة وقد مرّ معنا أنّ هناك ثمر النّخل وثمر الرّمّان وثمر السّدر وثمر الطّلح وثمر العنب، وهذا ليس معناه أنَّ الجنّة فيها هذه الثّمار فقط، أو ثمار تشبه ثمار الدّنيا فقط، بل في الجنّة أنواع لا يوجد في الحياة الدّنيا أصل لها؛ وإنّما ذكر من الثّمار ما يعرفها النّاس أمّا الّتي لا يعرفونها لم تُذكر.

وقد ذُكر في القرآن أصغر ما يكون وأكبر ما يكون، فالسّدر مثلًا ورقته غاية في الصّغر، والطّلح ورقه في غاية الكبر، فأصحاب الجنّة جُمعت لهم سائر الأشجار الّتي تقع بين الطّرفين يعني بين الصّغيرة والكبيرة، وقيل: هذا مثل فاكهتي النّخل والرّمّان، المقصود الرّمّان والرّطب لأنّهما متقابلتان:

- حلو وغير حلو.
- فاكهة وغذاء، والثّانية فاكهة ودواء.
- وأيضًا أحدهما من البلاد الحارّة، والأخرى من البلاد الباردة.
- أحدهما أشجاره في غاية الطّول والثّاني أشجاره قصيرة.
- أحدهما ما يُؤكل منه يكون بارزًا وما لا يُؤكل منه يكون كامنًا، فالتّمرة والرّطب بارزة وما لا يُؤكل منه كامن (داخل التّمرة)، أمّا الرّمان عكسه فما يُؤكل منه كامن، وما لا يُؤكل منه بارز (قشرها).

معنى ذلك أنّهما مثل الضّدّين والإشارة إلى الضّدّين تُناسب أن يُذكر ما بينهما.

وقد ذُكر بالأسماء في القرآن: النّخل والسّدر والطّلح والعنب والرّمّان، ويأتي إن شاء الله الكلام عن تفصيله.

هل في الجنّة زراعة؟

العرب والعجم يعرفون مكانة الزّراعة، وأهل الزّراعة يحبّون الزّراعة، والنّاس يصنعون الآلات ليزرعوا، فهي كما أنّها مهنة فهي متعة، الجنّة مكان كفاية لا تحتاج أن تزرع لتأكل، لكن لأنّهم ما كانوا يزرعوا فقط لمجرّد الزّراعة؛ إنّما كانوا يتمتّعون به وتشتهيه أنفسهم وما دام أنّ {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا}[1] إذًا لو اشتهوا هذا سيُعطوه، وقد ورد في الحديث كما روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَوْمًا يُحَدِّثُ، وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ البَادِيَةِ: " أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الجنّة اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي الزَّرْعِ، فَقَالَ لَهُ: أَلَسْتَ فِيمَا شِئْتَ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَزْرَعَ، قَالَ: فَبَذَرَ، فَبَادَرَ الطَّرْفَ نَبَاتُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ وَاسْتِحْصَادُهُ، فَكَانَ أَمْثَالَ الجِبَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: ((دُونَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، فَإِنَّهُ لاَ يُشْبِعُكَ شَيْءٌ))، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: وَاللَّهِ لاَ تَجِدُهُ إِلَّا قُرَشِيًّا، أَوْ أَنْصَارِيًّا، فَإِنَّهُمْ أَصْحَابُ زَرْعٍ، وَأَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا بِأَصْحَابِ زَرْعٍ، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2].

وهنا الشّيء العجيب أنّ أهل الجنّة يشتهون، ومن بين ما يشتهون الزّراعة!

وهذا دائمًا يجعلنا نفكّر: إذا كانت شهوتنا إلى العلم عظيمة وحبّنا لفهم كلام الله كبير، ويشغل أوقاتنا، هل يُجاب لهذا الأمر ويُعطى أهل هذه الشّهوة مُرادهم؟ ذكر الشّيخ السّعدي -رحمه الله- في سورة الصّافّات[3] ما يدلّ على ذلك أنّ أهل الجنّة يجتمعون ويتلذّذون بالعلم، أسأل الله أن لا يحرمنا الجنّة ولا يحرمنا الاجتماع حول العلم في الدّنيا وفي الآخرة، اللّهمّ آمين.

---

(١) سورة ق: ٣٥.

(٢) صحيح البخاري (كِتَاب المُزَارَعَةِ، بَابُ كِرَاءِ الأَرْضِ بِالذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، ٢٣٤٨).

(٣) ذكر الشّيخ السّعدي -رحمه الله- في "تفسير السّعدي" في الآية (٦٠) من سورة الصّافّات تفسيرًا للآية (٥٠): "قوله: {فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} وحذف المعمول، والمقام مقام لذة وسرور، فدل ذلك على أنهم يتساءلون بكل ما يلتذون بالتحدث به، والمسائل التي وقع فيها النزاع والإشكال. ومن المعلوم أن لذة أهل العلم

يبقى إن شاء الله في مجلسنا القادم أن نتكلّم عمّا أنعم الله به على أهل الجنّة من النّخيل والأعناب بشيء من التّفصيل، راغبين إلى الله أن تكون هذه الذّكرى وهذا التّفكير، وهذا الحديث إنّما هو قُربة إليه خالصًا لوجهه، فاللّهمّ اغفر لنا الزّلل والخطأ والزّيغ في النّيّات ومخالفة السّنّة أيًّا كان، واجعلنا مع المتّقين المحسنين المرفوعي الدّرجات، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

بالتساؤل عن العلم، والبحث عنه، فوق اللذات الجارية في أحاديث الدنيا، فلهم من هذا النوع النصيب الوافر، ويحصل لهم من انكشاف الحقائق العلمية في الجنة ما لا يمكن التعبير عنه."

اللّقاء السّادس

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

رابعًا: يتبع أشجارها وثمارها

خامسًا: أنهارها وعيونها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أشجارها وثمارها

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله في مجالس نشوّق فيها أنفسنا إلى "جنّات النّعيم" طاعةً وعبادةً لربّ العالمين، وهذا هو مجلسنا السّادس، وكنّا في مجلسنا السّابق نستعرض ما أخبرنا الله عنه في "جنّات النّعيم" من شجر وثمر، وكان من ثمار الجنّة الّتي أخبر الله -عزّ وجلّ- عنها:

النّخل

ورد في سورة الرّحمن قال تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ (٦٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٦٩) فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ (٧٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}[1].

فالخبر هنا أنَّ هذه الجنّة العظيمة الّتي أعدّها الله لأوليائه {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ}، وقد ورد ذِكْر النّخل في القرآن عشرين مرّةً! وهذا دلالة على أنَّ هذا النّخل سيكون من أكثر نعيم أهل الجنّة في ثمارها، والمؤكّد أنّ نخل الآخرة ليس مثل نخل الدّنيا لا في وصفه ولا في جماله ولا في نباته، فقط التّشابه في الأسماء، وقد دلّنا الرّسول الكريم -صلّى الله عليه وسلّم- على طريقة لتكثير هذا النّخل في جناننا، نسأل الله أن يرزقنا، فقال: ((مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجنّة))[2]، وقد اشترى أحد الصّحابة نخلةً في الجنّة بحائط له، يعني بحديقة له، وهو أبو الدّحداح كما هو مذكور في السّنّة.

وقد ذُكر عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: "نَخْلُ الجنّة كَرَبُهَا ذَهَبٌ أَحْمَرُ وَجُذُوعُهَا زُمُرُّدٌ أَخْضَرُ، وَسَعْفُهَا كِسْوَةُ أَهْلِ الجنّة مِنْهَا مُقَطَّاتُهُمْ -أي البرود الّتي يلبسونها، ما يغطّون به أكتافهم- وَحُلَلُهُمْ. ثمرُهَا أَمْثَالُ الْقِلَالِ وَالدِّلَاءِ، أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبَدِ، لَيْسَ لَهُ عَجْمٌ" زَادَ

---

(١) سورة الرّحمن: ٦٨-٧١.

(٢) سنن الترمذي (أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ٣٤٦٤) قال الألباني: صحيح.

الْحُسَيْنُ: أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الْفِضَّةِ. وقد روى ابن كثير في تفسيره هذا عن ابن عبّاس مرفوعًا إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

فتكرار ذكر النّخل في القرآن والحضّ على ذكر الله لتُغرَس لنا نخلة، من الأدلّة على أنّ من أكثر ثمار الجنّة أو شجر الجنّة النّخل.

السّدر

أيضًا من ثمار الجنّة ومن أشجارها "السّدر" كما في سورة الواقعة:

قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}[1].

والسّدر كما هو معلوم شجر معروف في جزيرة العرب لكثرة نبته، وكثيرة الشّوك، ويتميّز ثمره بأنّه صغير الحجم، فهي شجرة كبيرة ونِتَاجُهَا[2] قليل، نرى وصفها في الجنّة:

ابتدئ بالكلام فيها عن أصحاب اليمين وأنّهم {فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ} هناك أقوال لأهل العلم في معنى أنّه {مَخْضُودٍ}:

قول أوّل: قيل أنّ الخضد في اللّغة بمعنى: القطع، وخضدت الشّجر إذا قطعت شوكها؛ هذا معنى {مَخْضُودٍ} أي مقطوع الشّوك.

أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ يَوْمًا، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ فِي الجنّة شَجَرَةً مُؤْذِيَةً، وَمَا كُنْتُ أَرَى فِي الجنّة شَجَرَةً تُؤْذِي صَاحِبَهَا، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((وَمَا هِيَ؟)) قَالَ: السِّدْرَةُ، فَإِنَّ

(١) سورة الواقعة: ٢٧-٣٣.

(٢) معنى نِتَاج في معجم المعاني الجامع، نِتَاج: (اسم). **النِّتَاجُ**: ثمرة الشّيء والعائد منه.

لَهُ شَوْكًا مُؤْذِيًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَوَلَيْسَ يَقُولُ: {سِدْرٍ مَخْضُودٍ} خَضَّدَ اللَّهُ شَوْكَهُ، فَجَعَلَ مَكَانَ كُلِّ شَوْكَةٍ ثمرَةً))[1].

قول ثانٍ: وهذا رأي آخر أنَّ (المخضود) هو الّذي بُدِّل مكان شوكه الثّمر.

فالمعنيان الآن يدلّان على أنّ هذه الشّجرة المعروفة عند النّاس أنّها صغيرة الثّمار قليلة الإنتاج كثيرة الشّوك، يوم القيامة في "جنّات عدن" يكون الأمر مختلفًا، سدر الدّنيا كثير الشّوك قليل الثّمر، ومن يأخذ (النّبق) الّذي هو نِتَاجُ شجرة السّدر، يَتعب في أخذه ويمنعه الشّوك؛ أمّا في الجنّة السّدر المخضود قد زال شوكه وبُدّل مكانه ثمرًا، ولمّا كانت كثيرة الشّوك أصبحت كثيرة الثّمر المنضود المتراكم فوق بعضه البعض، وتميل على أصحابها فتدنو منهم بلا تعب ولا أذًى.

وقد قال النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في حقّ السّدرة في الجنّة: ((فَإِنَّهَا لَتُنْبِتُ ثمرًا لَقِنْوٌ مِنَ الثّمرِ مِنْهَا عَلَى اثْنَيْنِ وَسَبْعِينَ لَوْنًا، طَعَامٌ مَا فِيهِ لَوْنٌ يُشْبِهُ الْآخَرَ))[2].

وذكر شجرة السّدر خاصّةً لحكمة يعلمها الله -لكن ما نتصوّره والله أعلم بالصّواب- أنَّ هذه الشّجرة المعروفة بهذه الصّفة المؤذية تتبدّل خيرًا لأهل الجنّة، وبعدما كان الوصول إلى ثمرها صعبًا وثمرها قليل رغم حلاوته وصغير جدًّا يتبدّل بهذه الحال فيُعلم أنّ الله على كلّ شيء قدير!

الطّلح المنضود

قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ (٢٧) فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ (٢٨) وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ (٢٩) وَظِلٍّ مَمْدُودٍ (٣٠) وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ (٣١) وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ (٣٢) لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}.

(١) الزّهد والرّقائق، لابن المبارك.

(٢) الزهد والرقائق، لابن المبارك.

إذًا هذه الصّفة لكلّ الفاكهة من السّدر ومن الطّلح {لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ}.

- الطّلح كما يقول الرّاغب في مفرداته: شجرٌ، الواحد منه طلحة.
- وقيل: أنّ الطّلح هو الموز وهي تسمية أهل اليمن للموز.
- وقالوا: أنّ الطّلح كلّ شجر طويل.

وُصف الطّلح بأنّه {مَنْضُودٍ}، والمنضود بمعنى المتراكم فوق بعضه، فالمنضود قد نُضِدَ بعضه على بعض، وجُمع بعضه على بعض فأصبح مصفوفًا.

وقد ذهب بعض العلماء في تفسير النّضيد أنّه الورق المتّصل بعضه ببعض، وإذا كان الموز سيكون (المنضود) لها معنًى، وإذا كان نوعًا من الشّجر طويل سيكون لها معنًى آخر:

- إن كان يُقصد الموز، فيكون معنى (المنضود) إمّا الورق وإمّا الثّمر، فيكون المعنى أنّ ورقه كثير فوق الموز منضودًا مصفوفًا.
- وإن كان يُقصد به الثّمر لا الورق فالثّمرة نفسها متراكمة كثيرة؛ لأنّ هذا الّذي تحصل به المتعة أن يُأكل، وهذا الرّأي مبنيّ على معرفة موطن اللّذّة.

فالّذي قال أنَّ اللّذّة في الدّنيا بكثرة الموز؛ قال إذًا منضود معناها أنّ الموز متراكم كثيرًا، وأنّ ثمره أطيب من العسل. الّذي رأى هذا الرّأي قال أنّ التّفاضل في الدّنيا يكون بكثرة الثّمار ولذّتها وليس بكثرة الأوراق.

والّذي رأى أنّ اللّذّة تكون بالنّظر هنا قال: أنّ الموز مع أوراقه يرسمان صورةً خياليّةً لا يمكن أن يتخيّلها الإنسان صورةً من الجمال ما يكون به المتعة.

وبهذين الرّأيين نصل إلى أنّه أكثر خضرةً وأكثر بهجةً فهو متعة في ألوانه، ومتعة في طعمه. فإنَّ أشجار الموز في الجنّة مكسوّة بالثّمار والأوراق على صورة تُبهج القلب والعين لا نستطيع

وصفها ولا تخيّلها لكنّها مليئة بالثّمار المتراكمة المنضودة والأوراق متّصلة بها من أوّلها إلى آخرها لدرجة أنّه كما يُتصوّر هنا أنّ ساق الشّجرة لا يبين من الثّمار، فإذًا هو (منضود) يعني نُضِدَ بالحمل أو بالورق من أوله لآخره[1].

وإذا كان الشّجر الطّوال سيكون له ثمرة حلوة وسيكون الأمر أنّ له أوراقًا تُغطّيه في منظر بهيج.

العنب

قال تعالى: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥) جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}[2].

هذه الآيات من سورة النّبأ تُبيّن أنّ المفاز الّذي سيفوزه المتّقون فيه حدائق وأعنابًا، فهذا من نعيمهم، وفي السّنّة تكرّر الكلام عن أعنابها:

ففي الحديث الّذي رواه الإمام أحمد عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صُفُوفِنَا فِي الصَّلَاةِ، صَلَاةِ الظُّهْرِ، أَوِ الْعَصْرِ، فَإِذَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَنَاوَلُ شَيْئًا، ثمّ تَأَخَّرَ فَتَأَخَّرَ النَّاسُ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلَاةَ قَالَ لَهُ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: شَيْئًا صَنَعْتَهُ فِي الصَّلَاةِ لَمْ تَكُنْ تَصْنَعُهُ قَالَ: ((عُرِضَتْ عَلَيَّ الجنّة بِمَا فِيهَا مِنَ الزَّهْرَةِ وَالنَّضْرَةِ، فَتَنَاوَلْتُ مِنْهَا قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ لِآتِيَكُمْ بِهِ، فَحِيلَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَلَوْ أَتَيْتُكُمْ بِهِ لَأَكَلَ مِنْهُ مَنْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يُنْقِصُونَهُ شَيْئًا))[3].

---

(١) يُنظر غريب القرآن، لابن قتيبة.

(٢) سورة النّبأ: ٣١-٣٦.

(٣) رواه أحمد في مسنده، إسناده ضعيف.

وهذا مثله في الرّواية الّتي رواها البخاري في صلاة الكسوف لمّا وقف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- في الصّلاة وعُرضت له الجنّة والنّار في الحائط، فقال صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنِّي رَأَيْتُ الجنّة، فَتَنَاوَلْتُ عُنْقُودًا، وَلَوْ أَصَبْتُهُ لَأَكَلْتُمْ مِنْهُ مَا بَقِيَتِ الدّنيا))[1].

وهذا العنب وُصف حتّى حَبُّه فقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنِّي رَأَيْتُ الجنّة قَدْ عُرِضَتْ عَلَيَّ وَرَأَيْتُ فِيهَا دَالِيَةً، قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ، حَبُّهَا كَالدُّبَّاءِ)).

دَالِيَةً: جمعها دوالي، وهو عنب أسود، ليس أسود سوادًا تامًّا، يميل إلى السواد.

حَبُّهَا كَالدُّبَّاءِ: فهذا حجم حبّات العنب، سبحان الله!

وفي المسند أنّ رجلًا سأل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عندما كان يتحدّث عن شجرة طوبى: قَالَ: فِيهَا عِنَبٌ؟ قَالَ: ((نَعَمْ)) قَالَ: فَمَا عِظَمُ الْعُنْقُودِ؟ قَالَ: ((مَسِيرَةُ شَهْرٍ لِلْغُرَابِ الْأَبْقَعِ، وَلَا يَفْتُرُ))[2]. يعني أقوى أنواع الغراب، يمشي شهرًا ولا يحطّ.

فعنب الدّنيا معروف، لكن عنب الجنّة لا يشبه عنب الدّنيا لا في الشّكل ولا في الطّعم ولا في اللّون إنّما يشتركان في الاسم فقط.

وقد أتت مُنَكَّرَةً هنا {حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} من أجل أن تعلم أنّ هذه الأعناب حالها عظيمة!

---

(١) صحيح البخاري (أَبْوَابُ الكُسُوفِ، بَابُ صَلاَةِ الكُسُوفِ جَمَاعَةً وَصَلَّى ابْنُ عَبَّاسٍ لَهُمْ فِي صُفَّةِ زَمْزَمَ وَجَمَعَ عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَصَلَّى ابْنُ عُمَرَ، ١٠٥٢).

(٢) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد في المسند، والطبراني وابن عبد البر ورجاله موثوقون وقد صححه القرطبي.

الرّمان

أيضًا من شجر الجنّة ومن ثمارها "الرّمان" وهو أيضًا ممّا تكرّر ذكره في القرآن، وقد ورد في سورة الرّحمن:

قال تعالى: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} هذه الفواكه الّتي ذُكرت وثمارها كانت مرغوبةً عند العرب، يستخدمونها في الغذاء والدّواء، ولذا ذُكرت من بين فاكهة الجنّة لفضلها وشرفها.

وقد قال صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حِينَ أَهْبَطَ آدَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الجنّة إِلَى الأَرْضِ عَلَّمَهُ صَنْعَةَ كُلَّ شَيْءٍ، وَزَوَّدَهُ مِنْ ثمار الجنّة؛ فَثماركُمْ هَذِهِ مِنْ ثمار الجنّة؛ غَيْرَ أَنَّ هَذِهِ تَغَيَّرَ وَتِلْكَ لا تُغَيَّرُ))[1] أي: تتغيّر وتفنى، فالتّشابه في الأسماء له أصل، وأنّ الله لمّا أنزل آدم أنزل معه شيئًا من ثمار الجنّة.

ونلاحظ أنّ الله -عزّ وجلّ- لمّا أخبر في سورة الرّحمن عن أنّ: {فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ} قبلها أخبرنا أنّ: {وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}[2]، وأخبرنا في الإنسان: {وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا}[3]، فهذا كلّه نعتقده في أنّ ثمار الجنّة مذلّلة للآكلين، وأنّ أكلها دائم وظلّها، في مقابل أنّ فاكهة الدّنيا تُثمر في بعض الفصول وتُفقَد في بعض الفصول، فهذا أحد مواطن الاختلاف بين ثمار الجنّة وبين ثمار الأرض.

بهذا نكون قد تناقشنا في بعض ما ذُكر لنا من ثمار الجنّة، حيث مررنا على النّخل، والسّدر، والطّلح، والرّمان، والعنب، نسأل الله من فضله، ونسأله -سبحانه وتعالى- أن يمتّعنا بهذا الّذي أعدّه لعباده، وأن يغفر لنا كلّ ذنب يحبسنا عن "جنّات النّعيم"، اللّهمّ آمين.

---

(١) المجالسة وجواهر العلم، إسناده ضعيف والأثر صحيح

(٢) سورة الرّحمن: ٥٤.

(٣) سورة الإنسان: ١٤.

خامسًا: أنهار الجنّة وعيونها

ننتقل للكلام حول "أنهار الجنّة وعيونها" وهذا موضوع عظيم قد تكرّر الكلام عنه، نبدأ بلفتة فيه، ثمّ في المجلس القادم إن شاء الله نُكمل الكلام عنه.

قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[1].

في هذا السّياق خبر عن أنواع عظيمة من أنهار الجنّة سنقف إن شاء الله عليها نوعًا نوعًا، لكن نعدّها، ونتصوّر شيئًا عجيبًا فيها: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ}:

١. {مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} هذا أوّل نوع من الأنهار.

٢. أيضًا فيها أنهار {مِنْ لَبَنٍ} هذه الثّانية.

٣. وأيضًا أنهار {مِنْ خَمْرٍ} هذه الثّالثة.

٤. فيها أنهار {مِنْ عَسَلٍ} هذه الرّابعة.

إذًا بهذا التّرتيب: (أنهار من ماء، ومن لبن، ومن خمر، وأنهار من عسل)، وهذا كلّه في الدّنيا موجود إلّا أنّه ليس أنهارًا بل يأتي بالمشقّة، صحيح أنّ هناك أنهار من الماء لكن أغلب النّاس لا يعيشون على أنهار الماء، فالماء لا يأتي لأغلب النّاس من الأنهار؛ ولذا سنرى في سورة النّحل هذه اللّفتة البديعة الّتي رتّبت الأمر بنفس التّرتيب، والفرق أنَّ الأنهار الّتي ذُكرت في سورة محمّد هي من وصف أنهار الجنّة، أمّا في سورة النّحل ذُكرت هذه الأمور لكن في الدّنيا:

---

(١) سورة محمّد: ١٥.

قال تعالى: {وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٦٥) وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ (٦٦) وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٦٧) وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ (٦٨) ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}[1].

هذه المنن الّتي هي آية {لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} و{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ} و{لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}، هذه صورتها في الدّنيا وهذه طريقة خروجها لنا، وفي الجنّة أهلها يتنعّمون بها في أنهار لا مشقّة فيها، تصل إليهم بأيسر ما يكون؛ في الآية (٦٥) الّتي هي أوّل هذا السّياق: {وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً} هنا ماء أنزله الله من السّماء وجعل الحاجة إليه شديدةً، وعندما نحتاجه وينقص علينا نعبد الله بالاستسقاء، فهذا ماءٌ تحتاجه في الدّنيا وكان مصدرًا لطاعتك وعبادتك، وعندما أطعت وعبدت يأتيك يوم القيامة نهر يجري من تحتك ليس له أخدود: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ} ثمّ في الآية (٦٦): {وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ۖ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ}، ويخرج اللّبن {مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ} وهذه آية عجيبة أن يخرج اللّبن من بين القاذورات، فإن آمنت، وصدّقت، وطلبت، وعبدت، فلك جزاء التّقوى أنهارًا من لبن لم يتغيّر طعمه.

{وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا} والسّكر بمعنى الخمر، وهذه الآيات قبل التّحريم؛ فتسمع أمامها: {وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} في الدّنيا أنت استفدت من الثّمرات

(١) سورة النّحل: ٦٥-٦٩.

وعصَرتَها وانتفعتَ بها، ورأيتَ أنّها آية أن رزقك الله إيّاها، وأنَّ طعومها مختلفة، وفي الجنّة: {أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}.

ثمّ في الأخير: {وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ... يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ...} هنا العسل آية، فيه صعوبة، والمشقّة أعلى وأعلى، الماء أكثر من اللّبن، واللّبن أكثر من العصير، والعصير أكثر من العسل، بدأت بهذا التّرتيب، وكلّها فيها آيات تستدعي الطّاعة والعبادة والتّفكّر والتّأمّل ورُؤية عجيب خلق الله، فإن آمنتَ وصدّقتَ وتيقّنتَ وكانت لك آيةً تفكّرتَها وعقلتَها؛ فهذه الفوائد والمصالح واللّذّات تصبح لك أنهارًا تجري، فبعد {أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ} يوجد {أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى} سبحان الله!

- النّحل سورة مكّيّة، نزلت للتّذكير بنِعَم الله وعدم كفرانها.
- ومحمّد سورة مدنيّة نزلت للتّحضيض على الثّبات في الطّريق والتّقوى والشّوق لـ"جنّات النّعيم".

وفي الموطنين ترى نعمة الله، ومنَّة الله، واختبار الله، وفضل الله، وهنا ترى الجزاء على نفس التّرتيب، فإن كنت من المتّقين وانتفعت بالآيات {لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ}، و{لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ}، و{لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}، كنت ممّن تفضّل الله عليهم بذلك، وكنت من أهل الجنّة الّتي فيها هذه الأنهار.

في مجلسنا القادم إن شاء الله سيكون لدينا وقفات عند هذه الأنهار العظيمة بشيء من التّفصيل، هذا وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللّقاء السّابع

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

يتبع خامسًا: أنهارها وعيونها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أنهارها وعيونها

بسم الله والصّلاة والسّلام على رسول الله.

نبدأ مجلسنا هذا الّذي هو تتميم للكلام حول "أنهار الجنّة" فيما نصبو إلى التّشويق إليها ونرجو أن نكون من أهلها وأن نعبد الله بهذه العبادة، وهي عبادة التعلّم عمّا في "جنّات النّعيم"، للشّوق والتّصديق واليقين.

وقد كنّا مررنا على آية سورة محمّد في مجلسنا السّابق، ونظرنا لها نظرةً إجماليّةً، نعيد النّقاش الآن حولها:

قال تعالى: {مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ}[1].

نبدأ بالكلام حول الوصف العامّ لأنهار الجنّة، نجد أنّه قد تكرّر في كتاب الله الكلام عن الأنهار، فمثلًا في سورة البقرة في أوائل ما تسمع في القرآن تسمع في الآية (٢٥) يبشّر الله -عزّ وجلّ- عباده الّذين آمنوا وعملوا الصّالحات بهذه الأنهار:

قال تعالى: {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا ۙ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ ۖ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}[2].

(١) سورة محمّد: ١٥.

(٢) سورة البقرة: ٢٥.

فهذه من البُشرى للّذين آمنوا وعملوا الصّالحات، مثله في سورة التّوبة أيضًا في الآية (٨٩) ما فيه بُشرى لأهل الإيمان، وكيف أنّ الله أعدَّ لهم الجنّات فهذا من أفعاله -سبحانه وتعالى- أن أعدَّ لهم هذه الجنّات الّتي تجري من تحتها الأنهار.

قال تعالى: {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[١].

هذا يدلّ على وجود الأنهار فيها حقيقةً، وأنَّ هذه الأنهار جارية ليست واقفة، وأنّ هذه الأنهار تحت جنّاتهم {أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} أي: من تحت غُرفهم وقُصورهم وبساتينهم.

وفي آية محمّد تبيّن لنا أنّ فيها أربعة أنواع من الأنهار:

١. نهر الماء.
٢. نهر اللّبن.
٣. نهر الخمر.
٤. نهر العسل.

أوّلًا أنهار الماء

نهر الماء كما نعلم يُشابه في الاسم أنهار الماء الّتي في الدّنيا، فنحن لا نعرف في الدّنيا إلّا أنهار الماء لكنّنا لا نعرف أنهارًا من اللّبن، ولا أنهارًا من الخمر، ولا أنهارًا من العسل، وأنهار الماء معروفة

(١) سورة التّوبة: ٨٩.

لكن الماء غير الماء، والنّهر غير النّهر، والجريان غير الجريان، وبدأ الله -عزّ وجلّ- بما هو معروف اسمه عندنا في الدّنيا ويمكننا تصوّره، والماء لا يستغني عنه حيّ {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}(١).

وصفه أنّه {غَيْرِ آسِنٍ}، و(أَسِنَ الماء): إذا تغيّر واختلف لونه وطعمه ورائحته، فهو ماء غير متغيّر الطّعم والرّائحة، وهذا معناه أنّه لا يَأسن ولا يفسد؛ لأنّ الماء الجاري إذا طال مُكثه في بعض الأماكن وإن كان جاريًا إذا أخذنا منه وبقي وقتًا طويلًا يمكن أن يأسن، لكن ماء الجنّة لا يعرض له ذلك، يأخذ منه أهله ولا يأسن. وفيه تأكيد أنّ هذا الماء طاهر ما يتغيّر بأيّ عوارض، وفيه تأكيد على أنّ طعمه لا يدخله أبدًا ما تشمئزّ منه النّفوس لا طعمه ولا رائحته ولا أيّ حال من أحواله.

أنهار اللّبن الّذي لم يتغيّر طعمه

نفى -سبحانه وتعالى- آفة اللّبن، فاللّبن سريع الفساد يتغيّر طعمه للحموضة، فتغييرُ طعمه ممّا يُزعج أهل السّعادة ويلزمهم عمل ومحافظة عليه، فيُقال لهم هذا لبن يجري بلا حلب ضرع، ولا بذل جهد، ولا تسمين لماشية، بلا أيّ شيء بل يجري، وأيضًا هذا اللّبن ما تخشون عليه من أيّ عوارض، ففيه زيادة التّمتّع؛ لأنّ هذه الدّار دار أهلها لا يحزنون على شيء، دار أهلها في مزيد لا ينقصهم شيء، ولا تجدهم يتلهّفون على شيء بل يشتهون فيجدون ما يشتهون ولمّا يجدوا ما يشتهون لا يخافون على ما يشتهون، فهذه الأنهار الّتي تجري تأتي لهم بكلّ مرغوب، وفي نفس الوقت لو أخذوا منها لا يخشون على ما يأخذون أيّ شيء، ففيه رفاهية وتنعّم وتفكّه.

وبمقارنة الماء باللّبن: سنجد أنّ هذا الماء غير آسن، أي صافٍ، وأنَّ اللّبن لم يتغيّر طعمه، فهو محفوظ من التّغيّر، وانظر إلى حال الدّنيا غالب ماء النّاس من الغدران والأحواض كما هو معلوم، وهذه أنهار تجري إذا أخذوا منها في الدّنيا خافوا الطّحالب، وربّما دخلت أيدي ودلاء

(١) سورة الأنبياء: ٣٠.

وشَرب الوحوش، وإذا حلبوا وشربوا وأبقوا الباقي فإنّ طعم اللّبن يتغيّر، فإذًا هذه كلّها مخاوف موجودة في الدّنيا، فمع صعوبة وجود هذه الأشياء وخروجها من أماكن صعبة -كما مرّ معنا في سورة النّحل- كذلك المحافظة عليها في الدّنيا صعبة، فخروجها صعب والمحافظة عليها صعبة.

ماء لم يتغيّر طعمه تغرف منه بيسر وسهولة يصلك فلا تخاف عليه أيّ شيء، لا أن يأتيه دوابّ ولا هوام ولا طحالب ولا أيّ شيء، واللّبن الّذي هو أصعب من الماء وأسرع منه في التّغيّر، أيضًا كن مطمئنًّا فهو أنهار وليس حلبة أو حلبتان.

وتبيّن بهذا أنّ المسألة من جهة التّوفّر ومن جهة الفساد أيضًا، فالماء أكثر توفّرًا من اللّبن، واللّبن أسرع فسادًا من الماء فاللّبن قليل عند النّاس لأنّه موجود في ضروع صغيرة في أوقات محدودة في ظروف ضيّقة، أمام هذا أنهار من لبن وإذا حصلوا على اللّبن يخافون أن يتغيّر طعمه، أمّا هناك لا يتغيّر طعمه أبدًا.

أنهار من خمر لذّة للشّاربين

والخمر نوع من أنواع العصير لكنّه المحرّم لسببه المعلوم، لكن هنا في الدّنيا له آفات قبل وبعد، بينما في الجنّة آفاته كلّها ذاهبة، وسنتكلّم عن الخمر على أنّه عصير يُعصر في الدّنيا دون الكلام عن كونه محرّمًا:

الأمر الأوّل: الخمر عندهم كانت قليلةً عزيزةً لقلّة الأعناب فكانت لمّا تُستجلب من البلدان تأتي غالية الثّمن، وفي فصل الشّتاء تكون عسيرةً، وأوقات الحروب أيضًا لا يأتون بها، فهذه الخمر الّتي هي (عصير العنب) لا يصل لهم إلّا في حال ضيّقة جدًّا أضيق من اللّبن، فيأتي يوم القيامة يجده أنهارًا.

الأمر الثّاني: أنَّ في خمر الدّنيا آفات فهو يغتال العقل، ويُكثر اللّهو، وينزف الأموال، ويُصدّع الرّأس، وهو كريه المذاق، فإنّه عندما يصل إلى درجة أن يكون خمرًا يصبح كريه المذاق إلّا أنّهم اعتادوا عليه وأدمنوه ووجدوا فيه طعمًا من رجس الشّيطان! وأيضًا فإنّه يُوقع العداوة

والبغضاء بين النّاس لأنّه يُغيّب العقول الّتي تمنع التّصرّفات غير السّويّة، يُذهب الغيرة، يورث الخزي والنّدامة ويلحق شاربها بأنقص نوع من النّاس وهم المجانين. هذا كلّه يذهب وتكون خمر الجنّة الّذي هو عصير العنب غايةً في اللّذّة وكمال النّعمة فهو يجري أنهارًا.

ومن أكثر ما يقزّز النّفس أنَّ الخمر في الدّنيا إنّما يحصل من العنب بعد تعفّنه، وكانوا يعصرونه بالأرجل قبل وجود الآلات، ولذا الله -عزّ وجلّ- يخبرنا في سورة الصّافّات عن صفة الخمر في الآخرة كما في الآية (٤٧) يخبرنا عن هذه الصّفة الّتي تجعله مميّزًا:

قال تعالى: {عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٤) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ (٤٥) بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ (٤٦) لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ}[1].

سيأتينا إن شاء الله الكلام حول الأنس الّذي يكون في الجنّة بالاجتماع؛ لأنّ رُؤية الحبيب والصّديق تُؤنس النّفس وهم {مُتَقَابِلِينَ}، فكلّ جماعة وأصحاب مع بعض حسب ترتيبهم في طبقات الجنّة.

هؤلاء {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} يتضيّفون، مجتمعين متمتّعين ويتحدّثون في شؤون غير الشّؤون {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}، والكأس هذه كلمة مشهورة وهو إناء الخمر، حيث يكون إناءً بلا عروة واسع الفم، في الجنّة يكون من فضّة ومن ذهب، وعند العرب لا يُسمّى الإناء كأسًا إلّا إذا كانت فيه الخمر. ثمّ إنّها {مِنْ مَعِينٍ} أي من ماء مَعِن، بمعنى أنّ هذا الخمر من المؤكّد أن يكون فيها ماء، لذلك يقول الله عزّ وجلّ: {بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} فكأس الخمر فيه خمر بيضاء لونها مُشرق حسن ليست كخمر الدّنيا الحمراء والسّوداء، فهي {لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ}.

(١) سورة الصّافّات: ٤٤-٤٧.

ثمّ وُصف له وَصف رابع: {لَا فِيهَا غَوْلٌ}، والغَوْل: الصّداع، الألم وهو من غَالَه إذا أهلكه، لأنّ خمر الدّنيا والعياذ بالله تُوقع هذا حتّى تُهلكه!

وأيضًا هم لا يُنزفون، كأنّ عقل الإنسان مثل الدّم الّذي ينزف، فعقل الرّجل في الدّنيا ينزف، أي يذهب لكن في الآخرة ليس فيها صداع ولا فيها آلام وأيضًا عقله محفوظ، فهذه حال في غاية السّعادة مجتمعين مع أصحابهم وأحبابهم أو أزواجهم ويُطاف عليهم بهذا الكأس الّذي فيه عصير من العنب الفاخر ولا يتأذّون فيه ولا يتأذّون به ولا يُفقدهم عقولهم.

تأتي النّصوص الدّالّة على أنّ من شرب الخمر في الدّنيا لم يشربها في الآخرة إلّا أن يتوب، والله يتوب على من تاب، فهذه حالة من النّعيم المضمون لأهلها أن لا أذى: فالماء غير آسن، واللّبن لم يتغيّر طعمه، والخمر {لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ} ليس فيها الطّعم السّيّء، ولا الرّائحة الكريهة، ولا عقولهم تنزف، ولا صداع يصيبهم!

أنهار من عسل مصفّى

وقد أتى في منزلة متأخّرة في ترتيبه -كما مرَّ معنا يُشبه التّرتيب الّذي مضى من الآيات في سورة النّحل- فنصل إلى العسل الّذي هو أقلّ ما يكون في الدّنيا وهو أفضل الأطعمة وألذّها وأطيبها، وقد كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يحبّه ويشربه باستمرار، والله جعل فيه الشّفاء، والنّاس في الدّنيا دائمًا يعانون من كثرة الغشّ في العسل، فتأتي كلمة: {وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}، تُزيل عنه جميع هذه الأمور والشّوائب كالغشّ وشوائب الشّمع أو بقايا النّحل أو إبرة النّحل -سبحان الله- إنّما {مُصَفًّى}، وهذه الأوصاف الدّقيقة لكلّ نوع من الأنهار لا يفهمها إلّا من تعرّف إلى نفس هذه الأشياء، فالّذي يعرف العسل يعرف صعوبة تصفيته من بقايا الشّمع ومن بقايا أعضاء النّحل الّتي قد تموت فيه أصلًا، فتربية النّحل ليس بالأمر اليسير، وجني العسل صافيًا منها أمر عسير جدًّا؛ فوُصفت الأنهار بأنّها {مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى}، وفي الدّنيا العسل لا يُتصوّر أن يُصبح نهرًا

لسماكة قوامه، لكنّه في تلك الجنّات يكون أنهارًا فتجتمع هذه الأنهار الأربعة، والّذي يتأمّل الأنهار الأربعة يعرف أنّ هذه أفضل أشربة النّاس:

- فالماء لشرابهم وطهورهم.
- واللّبن لقوتهم وغذائهم.
- والخمر للذّتهم وسرورهم.
- والعسل لشفائهم ومنفعتهم.

عرفنا هذه الأنهار، وبقي أن نسأل هل هناك أنهار أخرى غيرها؟ نقول هذا أمر غيبيّ الله أعلم به، لكن في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

مكان تفجّر الأنهار

فالمكان الّذي تتفجّر منه الأنهار والله أعلم أنّه أعلى علّيّين، من "الفردوس الأعلى" وقد روى البخاري في صحيحه: ((إِنَّ فِي الجنّة مِئَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجنّة، وَأَعْلَى الجنّة، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنّة))[1].

وهذا هو الشّاهد على أنّ مكان تفجير الأنهار "الفردوس" ((وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنّة))، فالجنّة كالقبّة أوسطها وأعلاها "الفردوس"؛ لأنّه في الحديث ذُكر أنّ "الفردوس" تكون أعلاها درجةً

(١) صحيح البخاري (كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ {وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ} [هود: ٧]، {وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ} [التوبة: ١٢٩]، ٧٤٢٣).

وأيضًا أوسطها، وفي الحديث أيضًا: ((الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الجنّة وَأَعْلَاهَا وَأَوْسَطُهَا، وَمِنْهَا تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنّة))[١].

وفي حديث أيضًا عن عبادة بن الصّامت: ((الْفِرْدَوْسُ أَعْلَاهَا دَرَجَةً وَمِنْهَا تُفَجَّرُ أَنْهَارُ الجنّة الْأَرْبَعَةُ، وَمِنْ فَوْقِهَا يَكُونُ الْعَرْشُ))[٢] والله أعلم بما خلق.

وقد وردت أيضًا رواية عند التّرمذي: ((إِنَّ فِي الجنّة بَحْرَ المَاءِ وَبَحْرَ العَسَلِ وَبَحْرَ اللَّبَنِ وَبَحْرَ الخَمْرِ، ثمّ تُشَقَّقُ الأَنْهَارُ بَعْدُ))[٣] بمعنى أنّه يمكن أن تنزل من "الفردوس" وقبل النّزول والجريان تجتمع على شكل بحيرات كبيرة، ثمّ تنشقّ منها الأنهار والله أعلم.

في رواية ذكرها ابن كثير في كتابه (صفة الجنّة): "وَهَذه الأنهار تَشْخبُ من جنَّةِ عَدْن في جَوْبَةٍ ثمّ تَصَدَّعُ بعدُ أنهارًا"[٤] "تَشْخبُ": تسيل، "جَوْبَةٍ": الحفرة المستديرة الواسعة، يعني تسيل من "جنّة عدن" ثمّ تصعد فتصبح أنهارًا.

صفة جريان الأنهار

الأنهار تجري بلا أخدود فهي تسيل على وجه أرض الجنّة مرتفعةً عن مستواها في شأن لا يمكن أن يوصف، وهو كما روى أبو نعيم عن مسروق: "أَنْهَارُ الجنّة تَجْرِي فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ"[٥].

---

(١) المعجم الكبير للطبراني.

(٢) رواه الترمذي في سننه وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٣) المنتخب من مسند عبد بن حميد، صحيح لغيره.

(٤) مستخرج أبي عوانة، قال: لم أجد من أخرجه من هذا الطريق، ولكن أخرج الإمام مسلم في صحيحه -كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٨٢ ح ٢٣) عن سعيد بن منصور، عن أبي قدامة الحارث بن عبيد، عن أبي عمران الجَوني به، بلفظ آخر وهو قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلوةٍ واحدة مجوفة طولها ستون ميلًا، للمؤمن فيها أهلون، يطوف عليهم المؤمن، فلا يرى بعضهم بعضًا".

(٥) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني.

وقد رُوي عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كما ذكر ابن القيّم في بعض كتبه حديثًا عن أنس بن مالك، عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((لَعَلَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ أَنْهَارَ الجنّة أُخْدُودٌ فِي الْأَرْضِ، لَا وَاللهِ، إِنَّهَا لَسَائِحَةٌ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ))[١].

وقد ذكر ابن عبّاس أيضًا هذا الأمر، فقد سألوه: "فَمَا أَنْهَارُهَا، أَوَفِي خَدِّهِ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنَّهَا تَجْرِي عَلَى الْأَرْضِ مُسْتَكِفَّةً، لَا يَسْتَفِيضُ مَاؤُهَا هَاهُنَا، وَلَا هَاهُنَا. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لَهَا: كُونِي فَكَانَتْ"[٢].

وهذه بعض الأنهار التي ذُكرت لنا:

"نهر الكوثر"

كما في سورة الكوثر، حيث أخبر الله -عزّ وجلّ- عن عطيّته للرّسول صلّى الله عليه وسلّم:

قال الله تعالى: {إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ (١) فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ (٢) إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ}[٣].

"الكوثر" كما في أصحّ الأقوال هو نهر في الجنّة؛ لأنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أخبر كما في مسلم لمّا نزلت سورة الكوثر قال: ((أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟)) فَقُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: ((فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ))[٤] فهذا ممّا أنعم الله به على رسوله.

وقد قالت عائشة -رضي الله عنها- عن "الكوثر": "نَهَرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ"[٥]، إذًا فهو نهر خاصّ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

---

(١) الجامع الصحيح للمسانيد والسنن.

(٢) صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني.

(٣) سورة الكوثر:

(٤) صحيح مسلم (كتاب الصّلاة، بَابُ حُجَّةِ مَنْ قَالَ: الْبَسْمَلَةُ آيَةٌ مِنْ أَوَّلِ كُلِّ سُورَةٍ سِوَى بَرَاءَةٌ، ٤٠٠).

(٥) صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٨]، ٤٩٦٥).

وفي رواية: ((أَتَيْتُ عَلَى نَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفًا، فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ))[1]. فحافتا هذا النّهر قباب اللّؤلؤ المجوّف، وفيه الذّهب والفضّة، وتربته مسك أذفر، وحصباؤه اللّؤلؤ، ماؤه أبيض من اللّبن وأحلى من العسل، وآنيته كعدد نجوم السّماء.

"نهر بارق"

أيضًا من الأنهار في الجنّة: "نهر بارق" ففي الحديث الّذي أخرجه أحمد وصحّحه الحاكم على شرط مسلم أنّ الرّسول -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((الشُّهَدَاءُ عَلَى بَارِقِ نَهْرٍ بِبَابِ الجنّة فِي قُبَّةٍ خَضْرَاءَ يَخْرُجُ إِلَيْهِمْ رِزْقُهُمْ مِنَ الجنّة بُكْرَةً وَعَشِيًّا))[2].

فالشّهداء لهم منازل:

- ومن المنازل أنّ أرواحهم في حواصل طير خُضر تسرح في الجنّة حيث شاءت.
- ومنهم من يكون مقرّه على بارق -هذا النّهر الّذي بباب الجنّة- يخرج إليهم رزقهم من الجنّة في الصّباح والمساء.
- ومنهم من تُحبس روحه عن دخول الجنّة لدَيْن؛ لأنّ الرّجل أتى للنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: "مَاذَا لِي إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ؟ قَالَ: ((الجنّة)) فَلَمَّا وَلَّى قَالَ: ((إِلَّا الدَّيْنُ، سَارَّنِي بِهِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السّلام آنِفًا))[3].

(١) صحيح البخاري (كتاب تفسير القرآن، بَابُ {وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٨]، ٤٩٦٤).
(٢) صحيح ابن حبان، حسنه الألباني.
(٣) رواه أحمد في مسنده، وقال حديث صحيح لغيره.

- ومنهم من يكون محبوسًا على باب الجنّة لسبب أو لآخر: ((رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنّة))[1].

- ومنهم من يكون محبوسًا في قبره بسبب الشّملة الّتي اشتملها، أي بسبب ما غَلَّ من الغنيمة كما في الحديث: ((وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَصَابَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا)) لا حول ولا قوّة إلّا بالله.

- ومنهم من يُكرمه الله إكرامًا خاصًّا، كجعفر بن أبي طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنّة حيث يشاء، سبحان الله!

"نهر البيدخ" أو "البيدح"

أيضًا في رواية للإمام أحمد، أنَّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد أخبر عن نهر في الجنّة يُسمّى "نهر البيدخ" أو "البيدح"، وأخبر فيه عن رؤية أتت في الرّواية:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تُعْجِبُهُ الرُّؤْيَا الْحَسَنَةُ، فَرُبَّمَا قَالَ: ((هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟)) فَإِذَا رَأَى الرَّجُلُ رُؤْيَا سَأَلَ عَنْهُ، فَإِنْ كَانَ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، كَانَ أَعْجَبَ لِرُؤْيَاهُ إِلَيْهِ، قَالَ: فَجَاءَتْ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ، رَأَيْتُ كَأَنِّي دَخَلْتُ الجنّة، فَسَمِعْتُ بِهَا وَجْبَةً، ارْتَجَّتْ لَهَا الجنّة، فَنَظَرْتُ، فَإِذَا قَدْ جِيءَ بِفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، وَفُلَانِ بْنِ فُلَانٍ، حَتَّى عَدَّتْ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا -يعني هؤلاء الاثنا عشر اسمًا كان النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد بعثهم سريّة، والمرأة تحكي أنّها رأت الجنّة وسمعت أسماء هؤلاء- وَقَدْ بَعَثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَرِيَّةً قَبْلَ ذَلِكَ، قَالَتْ: فَجِيءَ بِهِمْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ طُلْسٌ-أي وسخة-، تَشْخُبُ أَوْدَاجُهُمْ قَالَتْ: فَقِيلَ: اذْهَبُوا

(١) رواه بنحوه أحمد (١١/٥) (٢٠١٣٦).

بِهِمْ إِلَى نَهْرِ الْبَيْذخِ، - أَوْ قَالَ: إِلَى نَهَرِ الْبَيْدَحِ - قَالَ: فَغُمِسُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا مِنْهُ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ. قَالَتْ: ثمّ أَتَوْا بِكَرَاسِيَّ مِنْ ذَهَبٍ فَقَعَدُوا عَلَيْهَا، وَأُتِيَ بِصَحْفَةٍ - أَوْ كَلِمَةٍ نَحْوِهَا - فِيهَا بُسْرَةٌ -وهو تمر النّخل قبل أن يرطب-، فَأَكَلُوا مِنْهَا، فَمَا يُقَلِّبُونَهَا لِشِقٍّ، إِلَّا أَكَلُوا مِنْ فَاكِهَةٍ مَا أَرَادُوا، وَأَكَلْتُ مَعَهُمْ. -انتهت الرّؤية-

قَالَ: فَجَاءَ الْبَشِيرُ مِنْ تِلْكَ السَّرِيَّةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، كَانَ مِنْ أَمْرِنَا كَذَا وَكَذَا، وَأُصِيبَ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، حَتَّى عَدَّ الِاثْنَيْ عَشَرَ الّذينَ عَدَّتْهُمُ الْمَرْأَةُ -أي الاثني عشر رجلًا الّذين عدّتهم المرأة ورأتهم في الجنّة قُتلوا في تلك السّريّة- قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((عَلَيَّ بِالْمَرْأَةِ)) فَجَاءَتْ، قَالَ: ((قُصِّي عَلَى هَذَا رُؤْيَاكِ)) فَقَصَّتْ، قَالَ: هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ[1].

أي أتى بالمرأة وأتى بالرّجل الّذي أتى من السّريّة، وذكرت الأسماء فكانت هي الأسماء، فقال الرّجل: "هُوَ كَمَا قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِ"، فهذا دليل على أنَّ الجنّة فيها أنهار ما ذُكرتْ لنا كلّها، ورُؤية هذه المرأة دلّت على أحد الأنهار من جملة أنهار الجنّة، وهذا دليل على أنّ هناك ما لا نعلمه فنؤمن بذلك ونصدّق ونعلم أنّ الله -عزّ وجلّ- قد جعل فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

هذا وصلّى الله وسلّم على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) رواه أحمد في مسنده، إسناده صحيح على شرط مسلم.

اللّقاء الثّامن

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

يتبع خامسًا: أنهارها وعيونها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أنهارها وعيونها

هذا مجلسنا الثّامن الّذي نشوّق فيه أنفسنا إلى "جنّات النّعيم"، في هذا المجلس نتكلّم عن:

العيون في الجنّة

كما أنّ الأنهار في الجنّة متعدّدة كذلك العيون في الجنّة متعدّدة، فقد أخبر الله -سبحانه وتعالى- في القرآن بوجود ثلاثة عيون في الجنّة:

١. عين الكافور.
٢. وعين السّلسبيل.
٣. وعين التّسنيم.

في سورة الحجر في الآية (٤٥) تقرير وجود العيون:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[١].

بعدما أتى الخبر في هذا السّياق عن وعيد المجرمين، انتقل لبشارة المتّقين، وهذا على عادة القرآن في تبشير المؤمنين المتّقين، وأتى الخبر بأنَّ لهم جنّات تجري من تحتها الأنهار، وهنا أتى الكلام عن العيون.

والعيون جمع عين، وهو اسم في الدّنيا لثقب أرضيّ يخرج منه الماء من الأرض، وغالبًا العيون في الدّنيا تكون بدون عمل إنسانيّ.

(١) سورة الحجر: ٤٥-٤٨.

كما قال تعالى: {وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ}[1]، وهناك عيون النّاس يفعلونها، فهذه في الجنّة تكون عيونًا يشرب منها هؤلاء المتّقون وهي نوع آخر من النّعيم، ومثل هذا الخبر الّذي في سورة الحجر أتى خبر في سورة المرسلات:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ}[2].

{ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} هذا يقرّب الصّورة، فالمتّقون لهم في الجنّة ظلال كثيرة وهذا لكثرة أشجار الجنّة ولكثرة المستظلّين بظلّها؛ لأنّ لكلّ واحد منهم ظلًّا يتمتّع به. وقد مرّ معنا بأنّه ليس هناك شمس، لكن المقصود به تقدير وجود الشّمس، فهذه الأشجار بمثابة الظّلال لو وُجدت الشّمس.

وهم أيضًا في {عُيُونٍ} معنى ذلك أنّه يجتمع لهم وجود الظّلال ووجود العيون، في مقابل أنّ أهل الكفر كما في نفس السّياق: {لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ}[3]، هؤلاء في فواكه ممّا يشتهون، فهذا يُكمّل الصّورة: هذا المتّقي في ظلال، وفي داخل الظّلال معه العيون والفواكه، تصوّر: {فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} أي في داخلها، وهذا لكثرة ما حولهم من العيون والفواكه فكأنّها محيطة بهم.

فإذًا {فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ}، {فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ}، (في): من كثرتها.

وفي سورة الرّحمن أيضًا الكلام عن هذه العيون:

---

(١) سورة البقرة: ٧٤.

(٢) سورة المرسلات: ٤١-٤٤.

(٣) سورة المرسلات: ٣١.

قال تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}[1]، وأيضًا قال تعالى: {فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ}[2]، فهذان وصفان.

في الآية (٥٠): العينان تجريان، فمن {خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} له {جَنَّتَانِ}[3]، لكلّ جنّة منهما عين، فهما عينان لكلّ من خاف مقام ربّه، وليس شرطًا تحديدها بِاثْنَيْن فقد تكون لإرادة الجمع فعيونها كثيرة، ومن محاسن الجنّات وجمالها عيون الماء:

- فنسمع: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}.
- ونسمع أنّها: {ذَوَاتَا أَفْنَانٍ}[4].
- ونسمع أنّ: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}.

فمعنى ذلك أنَّ العينين هذه من جمال الجنة.

{ذَوَاتَا أَفْنَانٍ} و(الأفنان): هي الغصون العظيمة كثيرة الإيراق والإثمار، ثمّ المتصوّر أنّ {فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ}[5] لأنّ الفاكهة متّصلة بالأفنان.

ثمّ تأتي {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ} فَفُصِلَ بين (الأفنان) وبين (الفاكهة) بذكر (العينين) من أجل ذكر محاسن الجنّات؛ لأنّ العيون من المناظر الجميلة جدًّا في الحدائق.

في الآية (٦٦) نجد فيها وصف العينين بأنّهما: {نَضَّاخَتَانِ}، و(نضّاختان) يعني فوّارتان تفور بالماء، (النّضح) أي: الرّشّ، و(النّضخ) أقوى منه، ففي الوصف الأوّل وُصفت بأنّها: {عَيْنَانِ

(١) سورة الرّحمن: ٥٠.
(٢) سورة الرّحمن: ٦٦.
(٣) سورة الرّحمن: ٤٦.
(٤) سورة الرّحمن: ٤٨.
(٥) سورة الرّحمن: ٥٢.

تَجْرِيَانِ} للكلام عن حسنهما، وهنا حسن آخر أنّهما فوّارتان بالماء، ونحن في الدّنيا -ولا تشابه- نرى النّوافير الّتي تُفوّر الماء وتُحرّكه، وهنا الماء أيضًا يفور في هذين العينين الفوّارتين بالماء.

عين الكافور

نرى أيضًا في سورة الإنسان وصفًا للعيون:

قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}[1].

نبدأ من عند {الْأَبْرَارَ} الّذين {يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}، تعريف (الكافور) أتى في الآية الّتي بعدها: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ}، هؤلاء الأبرار لهم مكانتهم، فذُكر نعيمهم مقابل ذكر عذاب أهل النّار، فهم يتنافسون للوصول إلى رضا الله، ابتُدئ وصف نعيمهم بوصف نعيم لذّة الشّراب، فهم يشربون من خمر الجنّة -كما اتّفقنا سابقًا- أنّ {كَأْسٍ} بمعنى خمر، ولذّة الخمر لها اشتهار بين النّاس، واتّفقنا على صفات أنهار الخمر الّتي في الجنّة، فهذا الّذي يشربونه له مِزاج، يعني ما يُمزج به غيره أي يُخْلَط، وهم كانوا يمزجون الخمر بالماء، فإذا كانت الخمر مُعتَّقةً، أي شديدةً فإنّهم يمزجونها بالماء ليخفّفوا من حدّتها، وهذا كان كثيرًا ما يُسمع في أشعار العرب.

هنا مُزجت بالكافور، والكافور في الدّنيا شأنه عجيب، فهو زيت يُستخرج من شجرة يتكوّن فيها إذا عمَّرت إلى ٢٠٠ سنة، يغلون حطبها ويستخرجون منه الكافور، ثمّ يتصلّب هذا الكافور ويصبح مثل الزّبدة، إذا وقع حطب شجرة الكافور في الماء يُصبح خمرًا، والكافور هذا أبيض اللّون، زكيّ الرّائحة، فالكافور ممّا يُعطي طعمًا للخمر و(لذعةً) -كما يعبّرون- فربّما كان هذا

(١) سورة الإنسان: ٥-٧.

الكافور ممّا يُمزج بالخمر أو بالماء، والكافور مزجه بالخمر لا يستطيعه كلّ أحد! لا يستطيعه إلّا أهل التّرف؛ لأنّ الكافور ثمين وهو معدود من العطور، فأوّل النّعيم أنّهم يشربون من هذه الكأس الفاخرة.

{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} وهذا يجعلنا نقول أنّ (الكافور) اسم عين في الجنّة، لكن نرى أكثر ويتبيّن إن شاء الله:

في الآية السّابقة: {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} لتعرف أنّ مزاجها هذا لا يفارقها، في مقابل أنَّ الكافور في الدّنيا غالي الثّمن ولا يجدونه بسرعة، فنادرًا ما يكون مزاجها كافورًا، فجاءت عينًا على البدل من كافور، يعني ذلك الكافور تجري به عين في الجنّة من ماء محلول فيه أو من زيته، الله أعلم فهم يشربون يوم القيامة من كأس فيها خمر ممزوجة بالكافور الّذي هو أحسن أنواع الطّيب، وهذا الشّراب الّذي مُزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله.

{يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} تفجير العيون في الدّنيا من الأمور الصّعبة، وغالبًا تكون طبيعيّة إلّا في بعض الأحيان، لكن هنا من مكانتهم يفجّرونها فيفتحون الأرض عن الماء الغزير فلا ينضب، كلّ واحد منهم يفجّر لنفسه يُنبوعًا. فإذًا نفهم أنّ الكافور له عين تُمزج بخمرهم فيشربون منها.

وقيل: أنّ الكافور إنّما هو وصف لها، فهي في بياض الكافور في رائحته وفي برده، لكن طعمه لا يكون كذلك؛ لأنّ طعمه في الدّنيا فيه شيء من الحدّة.

عين السّلسبيل

عين السّلسبيل كما في سورة الإنسان، وسنجد أنّ لها مزاجًا أيضًا:

قال تعالى: {وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا}[1].

(١) سورة الإنسان: ١٧-١٨.

في الآيات السّابقة ذُكرت الآنية ومحاسنها، والآن يُذكر محاسن الآنية بوصف الشّراب الّذي تحتويه وطِيبه، فالكأس كأس الخمر وقد اتّفقنا أنّه لن تُسمّى كأسًا إلّا إذا كان فيها خمرًا، ثمّ إنّنا سمعنا: أنّهم مرّةً يشربون من كأس {كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا}، وهذه سُقيا ثانية يُسقون كأسًا {مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا}.

والزّنجبيل اسم غير عربيّ وإنّما فارسي لنبات ذو رائحة عطريّة طيّبة، وطعمه يشبه طعم الفلفل، وهو أنواع، ويُستخدم لتطييب الطّعام مثل البهارات، والعرب تذكره في أشعارها أنّه طيّب الرّائحة، وكانوا يضعونه مع الخمر ليُطيّب رائحتها ويعطيها طعمًا حسنًا، فهذه عين {مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} يُمزج الخمر بالزّنجبيل.

{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا} وسلسبيل آتٍ من السَّلاسَة والسُّهولة واللّين، فيُقال ماء سَلِسٌ، يعني عَذْبٌ، فتُسمّى {سَلْسَبِيلًا} ليُسر تناولها، وهناك من قال أنّ (سلسبيل) اسم عَلَمٍ على العين، فهذه العين الّتي يشرب بها المقرّبون ويكون فيها من الطّعم الخاصّ والنّكهة الخاصّة، وهي سَلِسَةٌ يصرفونها حيث شاؤُوا.

فنستخلص من ذلك أنّ ما يُمزج به خمر هؤلاء شيئان:

١. الكافور، كما في أوّل السّورة.

٢. والزّنجبيل، في آخرها.

الكافور فيه برد وطيب الرّائحة، والزّنجبيل فيه حرارة وطيّب الطّعم، فيحدث لهم باجتماع الشّرابين أكمل حال وألذّ ما يكون، فهذا شراب في حال وهذا شراب في حال.

وقد ذكر ابن القيّم أنّ موقع ذكر الكافور في أوّل السّورة والزّنجبيل في آخرها موقع لطيف فيقول: "أن شرابهم مزج أولا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيُعدّله" فهذان "نوعان لذيذان من الشراب. أحدهما مزج بالكافور والثاني مزج بالزنجبيل"[١] فاختلف طعمهما واختلف مزاجهما أي مُزجا بشكل مختلف تارةً يُمزج لهم الشّراب بالكافور وهو بارد، وتارةً بالزّنجبيل وهو حارّ، فيعتدل الأمر عندهم.

وهذا شأن مهما تكلّمنا فيه لن نستطيع أن نأتي به على وجهه، لكنّنا نعرف أنّ فيها عيونًا، وهذه العيون لها طعمها الخاصّ، فكما أنَّ فيها ماءً صافيًا غير آسن كذلك فيها عيون لها هذه الطُّعُوم[٢] فتختلط مع خمرهم وتختلط مع عصيرهم فيجدون هذه الطُّعُوم المختلفة.

عين التّسنيم

قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (٢٢) عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ (٢٣) تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ (٢٤) يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ (٢٧) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}[١].

---

(١) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، لابن القيم.

(٢) معنى طُعُوم في معجم المعاني الجامع، طُعُوم: (اسم)، طُعُوم: جمع طَعْمٌ. الطَّعْمُ: ما تُدركه حاسّة الذّوْقِ من طعام أو شراب، كالحلاوة والمرارة والحموضة وما بينها.

{عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ}، هذا خبر ثانٍ عن الأبرار أنّهم على الأرائك ينظرون، أي متّكئين عليها وهي السّرر والوسادة وما في ذلك من النّعيم {تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ}.

ثمّ تكلّم عن سُقياهم، وكيف أنّهم {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} الضّمير يعود على الأبرار، يسقيهم الله -عزّ وجلّ- على أيدي الخدم الّذين وصفهم الله بقوله: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}[٢] والرّحيق: اسم للخمر لكنّها تكون صافيةً وطيّبةً {مَخْتُومٍ}، أي مسدود إناؤه، وهذا وصف للخمر الّذي اعتُني به، فإنّهم يختمونه بالطّين، فإذا يبس يعسُر قلعه فيختمونه وهو رطب حتّى ييبس فلا يستطيعون إخراجه. ويستفيدون من ذلك أنّهم يمنعون تخلخل الهواء إليه، وهذا أصلح لاختمارها وصفائها وحفظ رائحتها، {خِتَامُهُ مِسْكٌ} فتصوّر هذا الختم لو كان بعجين المسك عوضًا عن الطّين كيف سيأخذ هذا الشّراب رائحة المسك وبرودته، وهذا المسك من عجائب خلق الله يخرج من الغزال، عندما ييبس يلتقطه طلّابه، فيكون ختام هذا الشّراب مسك وتكون هذه نكهته.

ثمّ نسمع أنَّ {مِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، معنى ذلك أنَّ هؤلاء عندما {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ} و{خِتَامُهُ مِسْكٌ} فيُمزج الخمر فتكون أحسن في اللّذّة، ويُوصَف هذا الوصف الدّقيق لهم ليشعروا كيف أنّ الله سيُكرمهم فيمزج خمرهم بالتّسنيم، والتّسنيم عين في الجنّة تكون والله أعلم كهيئة السّنام، فهذه العين تصبّ على جنانهم من عُلُوّ فكأنّها سنام. فهذه العين الّتي هي مزاجها {مِنْ تَسْنِيمٍ}، الشّاربون منها هم الأبرار يكونون مقرّبين يمزجون الرّحيق، الخمر الخالصة بالتّسنيم، أو بعدما تُمزج، {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} أي يشربون وهم محيطون بهذه العين وجالسون حولها.

---

(١) سورة المطفّفين: ٢٢-٢٨.

(٢) سورة الواقعة: ١٧-١٨.

المقصود أنّ هذه العين في حالها كالسّنام، تأتيهم من أعلى فهي أعلى أشربة الجنّة على الإطلاق، فهذا رأي آخر: أنّ هؤلاء {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ (٢٥) خِتَامُهُ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ (٢٦) وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ} أي يُسقون الرّحيق ممزوجًا بالتّسنيم.

وقيل: أنّ المقرّبون فقط هم الّذين يشربونها خالصةً من العين {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ}، فالرّحيق يُمزج بالتّسنيم للأبرار، والمقرّبون يشربونها عينًا خالصةً، لكن الأقرب للفهم أنّ هذه العين {يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} فيُمزج لهم بها الرّحيق المختوم، أو عينًا {يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} يجلسون حولها فتكون بهيجة المنظر.

لماذا سُمّيت {تَسْنِيمٍ}؟ من سنام البعير، لعلوّه من بدنه -هذا الّذي يظهر- وهذه عين كما قال قتادة: "عَيْنٌ تَجْرِي فِي الْهَوَاءِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، فَتَنْصَبُّ فِي أَوَانِي أَهْلِ الْجَنَّةِ عَلَى قَدْرِ مَائِهَا، فَإِذَا امْتَلَأَتْ أُمْسِكَ الْمَاءُ، فَلَا تَقَعُ مِنْهُ قَطْرَةٌ عَلَى الْأَرْضِ، وَلَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِاسْتِقَاءِ"[1].

فإذًا معنى ذلك إمّا أنَّ هذه العين يُخلط بها الرّحيق وهي كالسّنام تسقط فيختلط بها رحيقهم فيكون ألذّ لهم ويجتمعون حولها، أو عينًا يشرب بها هؤلاء المقرّبون فقط فهي في منزلة عالية. الرّفعة تكون لأهل التّسنيم؛ لأنّ التّسنيم بمعنى السّنام، أي مقامهم عالٍ.

من صفات العيون في الجنّة

إذًا هذه العيون الّتي أخبر الله -عزّ وجلّ- عنها في الجنّة:

الصّفة الأولى: أنّهم متى شاؤُوا و أينما شاؤُوا فجّروها بلا جهد: يفجّرها أهلها تفجيرًا، بمعنى يقودونها حيث شاؤُوا، وتتبعهم حيث مالوا تميل معهم، وهذا معنى تكرّر في سورة الإنسان أنّهم {يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}، فهم متى شاؤُوا وأينما شاؤُوا فجّروها بلا جهد. والحقيقة أنّه من أعجب

(١) تفسير القرطبي، الآية (٢٧) سورة المطفّفين.

أوصافها {يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}، وقد ذكر القرطبي: "إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ لَيَمْشِي فِي بُيُوتَاتِهِ وَيَصْعَدُ إِلَى قُصُورِهِ، وَبِيَدِهِ قَضِيبٌ يُشِيرُ بِهِ إِلَى الْمَاءِ فَيَجْرِي مَعَهُ حَيْثُمَا دَارَ فِي مَنَازِلِهِ عَلَى مُسْتَوى الْأَرْضِ فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ"[1]، ويشير إليه فيتفجّر هنا ويتفجّر هنا، ويمشي حيثما أراد، سبحان الله!

الصّفة الثّانية: أنّها جارية: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}[2]، {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}، أي أنّ ماء هذه العيون يجري بغزارة ثمّ يسيل فيجري على أرض الجنّة.

الصّفة الثّالثة: أنّها تنضخ بالماء: أيضًا هذه العيون تنضخ بالماء كما في قوله {نَضَّاخَتَانِ}، وقيل: أنّها تنضخ بالمسك والعنبر، تنضخ على دور أهل الجنّة كما أنّ المطر تنضخ على أهل الدّنيا.

فالماء هذا الّذي هو عزيز وطعمه قد يحصل فيه ما يحصل من الأسن والتقذّر من رائحته جعله الله -عزّ وجلّ- أنهارًا وعيونًا لأهل الجنّة فيها يتمتّعون.

نسأل الله -عزّ وجلّ- من فضله، ونرجوه لنا ولذرارينا أن يغفر كلّ ذنب يحول دون سكنى جنّاته، وأن يجمعنا نحن وأحبابنا في "جنّات النّعيم"، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) تفسير القرطبي، الآية (٦) سورة الإنسان.

(٢) سورة الغاشية: ١٢.

اللّقاء التّاسع

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

سادسًا: قصورها وغُرفها وخيامها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: قصورها وغُرفها وخيامها

بسم الله والصّلاة والسّلام على رسول الله.

لا زلنا بفضل الله نناقش أنفسنا ونشوّقها إلى ربّنا وإلى جنّته، وقد كنّا سمعنا عن أنهار الجنّة، وسمعنا عن عيونها، واليوم بإذن الله في مجلسنا هذا نسمع عن قصور الجنّة، وغرفها، وخيامها، ونتذاكر ما ورد في كتاب الله وفي سنّة النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- من ذلك.

قصور الجنّة

نبدأ أوّلًا بالخبر عن أنّ في الجنّة قصورًا كما ورد في سورة الفرقان، وقد أخبر -سبحانه وتعالى- عن هذه القصور في سياق مناقشة أهل الكفر في باطلهم الّذي سيتبين إن شاء الله، ثمّ وصف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- هذه القصور:

قال تعالى: {تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَٰلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلْ لَكَ قُصُورًا}(١).

السّياق هنا يناقش أهل الكفر في كونهم ظنّوا أنّه لو كان نبيًّا لجعل الله له في الدّنيا هذه العطايا، وفيه أنّه يُوعَدُ -صلّى الله عليه وسلّم- بها يوم القيامة، وقد قال عليه الصّلاة والسّلام: ((لَمَّا أُدْخِلْتُ الجنّة رَأَيْتُ فِيهَا قَصْرًا مِنْ ذَهَبٍ، فَقُلْتُ لِجِبْرِيلَ: لِمَنْ هَذَا الْقَصْرُ؟ قَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَقُلْتُ: وَمَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ))(٢).

(١) سورة الفرقان: ١٠.

(٢) المعجم الأوسط للطّبراني.

الشّاهد أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قد رأى قصرًا من ذهب وهو لعمر بن الخطّاب -رضي الله عنه- وقد روى الحديث البخاري أيضًا أنّ المسؤول هو جبريل -عليه السّلام- وزاد: ((فَمَا مَنَعَنِي أَنْ أَدْخُلَهُ يَا ابْنَ الخَطَّابِ، إِلَّا مَا أَعْلَمُ مِنْ غَيْرَتِكَ))[1].

وروى البخاري في صحيحه أنّ رسول الله -صلّى الله عليه وسلّم- رأى رُؤيا أنّه قد دخل الجنّة ومعه ملكان، وفي الرّؤيا: ((فَإِذَا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيْضَاءِ)) -يعني مثل السّحابة البيضاء- قَالَ: ((قَالاَ لِي: هَذَاكَ مَنْزِلُكَ)) قَالَ: ((قُلْتُ لَهُمَا: بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ذَرَانِي فَأَدْخُلَهُ، قَالاَ: أَمَّا الآنَ فَلاَ))[2].

ومن الأخبار أيضًا الّتي رواها البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- قَالَ: أَتَى جِبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: ((يَا رَسُولَ اللَّهِ: هَذِهِ خَدِيجَةُ قَدْ أَتَتْ مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ، أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السّلام مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الجنّة مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ، وَلاَ نَصَبَ))[3]، أي ليس فيه ضجّة ولا تعب، وحين نسأل لماذا من قصب؟ فيجيب بعض العلماء: إنّما كان بيتها من قصب لأنّها حازت قصب السّبق في التّصديق بالنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- وهذا من توافق الكلمات، وربّما كان من قصب؛ لأنّ القصب أحيانًا يكون أجمل وأنظر وأحلى خاطرًا من القصور، هذا في الدّنيا فكيف ببيت في الجنّة من القصب؟! فهو بلا شكّ سيكون نُزهةً، وفيه من الأنس، ومادّته ليست مثل مادّة الدّنيا، قصب الدّنيا الّذي هو الخشب بل هو من قصب اللّؤلؤ.

وفي الحديث الّذي أخرجه الطّبراني في الأوسط عَنْ فَاطِمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيْنَ أُمُّنَا خَدِيجَةُ؟ قَالَ: ((فِي بَيْتٍ مِنْ قَصَبٍ، لَا لَغْوٌ فِيهِ وَلَا نَصَبٌ، بَيْنَ مَرْيَمَ وَآسِيَةَ امْرَأَةِ فِرْعَوْنَ))، قَالَتْ: أَمِنْ هَذَا الْقَصَبِ؟ قَالَ: ((لَا، بَلْ مِنَ الْقَصَبِ الْمَنْظُومِ بِالدُّرِ، وَاللُّؤْلُؤِ،

(١) صحيح البخاري (كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ القَصْرِ فِي المَنَامِ، ٧٠٢٤)

(٢) صحيح البخاري (كِتَابُ التَّعْبِيرِ، بَابُ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ، ٧٠٤٧).

(٣) متّفق عليه.

وَالْيَاقُوتِ))[1]. وهذا كلّه إشارةً إلى أنّ هناك من القصور المبنيّة الّتي لا توصف من جمالها وكمالها، والنّاس في الدّنيا اليوم عندما يدخلون القصور المبنيّة من الرّخام من الزّجاج من الكريستال ممّا يُبهج النّفوس ويُسرّ الخاطر، يأتون يقولون لك: (شيء لا يوصف!)، وهذا من صنع البشر في دار زوال، فكيف بقصور الآخرة الّتي بناها الله -عزّ وجلّ- تُسكن أبد الآباد بلا خوف ولا حزن ولا همّ! هذه "جنّة عدن" بناها الله -عزّ وجلّ- كرامةً لمن يسكنها فماذا يُتصوّر عن قصورها الّتي أبدعها الله سبحانه وتعالى!

غُرف الجنّة

أيضًا هناك الغُرف الّتي أخبر الله -عزّ وجلّ- عنها كما في سورة الزّمر، قال تعالى: {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}[2].

ابتدأت الآية بقوله تعالى: {لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا} فعُلم أنّ هذه الغُرَفُ منزلة عالية خُصّ بها هؤلاء الأتقياء، نأتي إلى {لَٰكِنِ} وننظر للسّياق فنجد أنّ السّياق يدلّنا على قوم طاغين مقابل القوم المتّقين، لو بدأنا من الآية (٨) و(٩) في نفس السّورة سنرى هذه المقارنة:

قال تعالى: {وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}[3].

(١) المعجم الأوسط للطبراني

(٢) سورة الزّمر: ٢٠.

(٣) سورة الزّمر: ٨.

إذًا هذا نبّهه الله وأعطاه وبيّن له بعد ضُرّ مسّه، لكنّه جعل لله أندادًا فقيل له: {تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}، ثمّ بيّن حال الثّاني، قال تعالى: {أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ}[1].

هذه مقابلة بين العامل بطاعة الله وبين هذا الكافر، مقابلة بين العالم والجاهل، فالمُعْرض عن طاعة ربّه المتّبع لهواه ليس كمن {هُوَ قَانِتٌ} مطيع لله بأفضل العبادات وهي الصّلاة، وأفضل الأوقات وهي أوقات اللّيل، فهذا كثير العمل وُصف بالخوف والرّجاء، فلا يمكن أن يستوي الّذي يعلم والّذي لا يعلم، كما لا يستوي اللّيل والنّهار، فمن هنا بدأت مقارنة إلى أن نصل في نفس السّياق للكلام عن المؤمنين والخاسرين أيضًا:

قال تعالى: {قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي (١٤) فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١٥) لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ ۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ (١٦) وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٨) أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ (١٩) لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ}[2].

{لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ} الكلام عن هؤلاء الخاسرين، سيكون لهم من الشّقاء ما يكون، {لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ} يعني قطع عذاب كالسّحاب ومن تحتهم أيضًا، يُساق من فوقهم ومن تحتهم، فهذا

(١) سورة الزّمر: ٩.

(٢) سورة الزّمر: ١٤-٢٠.

كلّه يدعو العباد إلى التّقوى. ثمّ أمام هذا الّذي وُصِف: أنَّ الله -عزّ وجلّ- يُخوّف به عباده: {ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُۚ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ}، أخبرنا عن: {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} سمعوا هذا واتّبعوا أحسنه، هؤلاء هداهم الله، إلى أن نصل: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ} أي وجبت عليه كلمة العذاب، بعد هذا الوعظ كلّه مستمرّ على غيّه وعناده لا حيلة مع هذا، وهذا لا يُغني فيه النّذر، {لَٰكِنِ} وهنا الفرق، الفوز كلّ الفوز والنّجاة من الخسارة كلّ النّجاة والغنى كلّ الغنى للمتّقين، الّذين أعدَّ الله لهم من الكرامة أنواع النّعيم ما لا يُقادر قدره فهؤلاء {لَهُمْ غُرَفٌ}، بمعنى منازل عالية مُزخرفة، من حسنها وبهائها وصفائها أنّه يُرَى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، ومن عُلوّ هذه الغرف وارتفاعها أنّها تُرى كما يُرى الكوكب الغابر، {غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ} بعضها فوق بعض {مَبْنِيَّةٌ} بذهب وفضّة، {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} فتسقي البساتين والأشجار، وهذا كلّه كما أخبر سبحانه وتعالى: {وَعْدَ اللَّهِ} والله لا يخلف الميعاد وعد المتّقين بذلك، فهذه الغرف من بين ما يسكنه أهل الجنّة، والغرفة هذه هي العليّة، فهؤلاء المؤمنون لهم علالي كثيرة جليلة بعضها فوق بعض.

وقد وصف النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- غرف الجنّة: ((إِنَّ فِي الجنّة غُرَفًا تُرَى ظُهُورُهَا مِنْ بُطُونِهَا وَبُطُونُهَا مِنْ ظُهُورِهَا))، فَقَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: لِمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: ((لِمَنْ أَطَابَ الكَلَامَ، وَأَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَدَامَ الصِّيَامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ))[1].

فهذه الغرف المذكورة في الآيات وفي الحديث تُطلق على شيئين:

الأمر الأوّل: الغرفة العليّة من البناء: يعني أعلى ما يكون في البناء وهي مبنيّة بناءً حقيقيًّا، ونعتقد وجودها الآن، فنعتقد أنّ لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها.

---

(١) سنن الترمذي (أَبْوَابُ البِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْمَعْرُوفِ، ١٩٨٤) حسنه الألباني.

الأمر الثّاني: أن نعتقد أنّ هذه الغرف منزلة من منازل الجنّة: وممّا يدلّ عليه آية سورة الفرقان حيث قال تعالى: {أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا (٧٥) خَالِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا}(١).

إذًا يظهر من هذا أنّها منزلة في الجنّة، فبعد ما قيل عن صفات عباد الرّحمن قيل: {أُولَٰئِكَ} الإشارة إليهم {أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا} وهذا مناسب لهممهم ومطالبهم، حيث كانت هممهم ومطالبهم عالية، وكان الجزاء من جنس العمل فجزاهم بالمنازل العالية.

وهذه منزلة من منازل الجنّة والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- يقول: ((إِنَّ أَهْلَ الجنّة لَيَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الْغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الْغَابِرَ مِنَ الْأُفُقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوِ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ)) قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ تِلْكَ مَنَازِلُ الْأَنْبِيَاءِ لَا يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: ((بَلَى، وَالّذي نَفْسِي بِيَدِهِ رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ))(٢).

فإذًا إمّا أنّها {غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ} يعني الغرفة العالية الّتي فوق القصور، أو منزلة من أعالي منازل الجنّة، وأكثر العلماء على الثّاني أنّها منزلة عالية من منازل الجنّة، إذًا لهم قصور، ولهم غُرف.

خيام الجنّة

وأيضًا لهم خيام، وهذا أيضًا من منازلهم، ففي سورة الرّحمن أخبرنا بهذا الخبر:

قال تعالى: {حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ (٧٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}(٣).

---

(١) سورة الفرقان: ٧٥-٧٦.

(٢) صحيح مسلم (كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابٌ فِي صِفَةِ خِيَامِ الْجَنَّةِ وَمَا لِلْمُؤْمِنِينَ فِيهَا مِنَ الْأَهْلِينَ، ٢٨٣٨).

(٣) سورة الرّحمن: ٧٢-٧٣.

وقد ورد في حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((إِنَّ لِلْمُؤْمِنِ فِي الجنّة لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ، طُولُهَا سِتُّونَ مِيلًا، لِلْمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ، يَطُوفُ عَلَيْهِمِ الْمُؤْمِنُ فَلَا يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا))[1].

وقد ذكر ابن عبّاس رضي الله عنه: "الْخَيْمَةُ: دُرَّةٌ وَاحِدَةٌ مُجَوَّفَةٌ فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، لَهَا أَرْبَعَةُ آلَافِ بَابٍ مِنْ ذَهَبٍ"[2]. وأبو الدّرداء -رضي الله عنه- يقول: "الْخَيْمَةُ لُؤْلُؤَةٌ وَاحِدَةٌ، لَهَا سَبْعُونَ بَابًا كُلُّهَا دُرٌّ"[3].

وهذا الكلام الّذي يقولونه -رضي الله عنهم- له حكم الرّفع إلى النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- لأنّهم يتكلّمون عن خبر غيبيّ فمن المؤكّد أنّهم قد سمعوا هذا من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.

وهذه الخيام مساكن مغايرة لأهل الجنّة غير مساكن القصور وغير الغرف، وهي تُضرب لهم خارج مساكنهم في البساتين وعلى شواطئ الأنهار، سبحان الله جُعلت لهم الخيام لإتمام نعمة الله على أهل الجنّة، ونحن نرى الآن أنّ النّاس مهما كانوا مستقرّين في دورهم لكن يحبّون أن يخرجوا إلى الخيام، وحتّى الّذي لم يحصل له فرصة يتشوّق إلى ذلك في أيّام الرّبيع وغيرها، فهذا من أُنْس النّاس، وترون أنّ النّاس يحبّون الرّحلة والخروج من ديارهم، ومثل هذا يجدونه في "جنّات عدن" حياة لا موت فيها، ولا فقر، ولا تعب، ولا همّ، ولا غمّ، يدورون في دائرة {لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا}[4]، فإذا لهم قصور ولهم غرف ولهم خيام.

---

(١) متّفق عليه.

(٢) الزّهد والرّقائق، لابن المبارك.

(٣) الزّهد والرّقائق، لابن المبارك.

(٤) سورة ق: ٣٥.

معرفة أهل الجنّة لمنازلهم

نأتي أيضًا لشيء من ألطف الأشياء في الجنّة وهو "معرفة أهل الجنّة لمنازلهم" ونرى هذا في سورة محمّد، قال تعالى: {الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}[1].

فالسّورة ابتدأت بهذه المعركة الدّائمة بين أهل الإيمان وأهل الكفر، فأهل الإيمان استدلّوا الطّريق وعرفوه في الدّنيا، فجاهدوا ليعرفوه، وجاهدوا ليستقيموا عليه، وجاهدوا فقُتلوا في سبيل الله، وكان الجزاء أنّه {يُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ}، أوّل ما تطأ أقدامهم الجنّة يتوجّهون مباشرةً إلى منازلهم!

يقول ابن عبّاس: "هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم"، يعني النّاس يتجمّعون في صلاة الجمعة ويخرجون يهتدي كلّ واحد منهم إلى منزله، فهؤلاء يدخلون وأوّل ما تطأ أقدامهم الجنّة مباشرةً ينطلقون إلى أماكنهم.

وقال محمّد ابن كعب: "يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدّنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة".

---

(١) سورة محمّد: ١-٦.

وقال مجاهد: "يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطؤون كأنّهم سكنوها منذ خُلقوا لا يسألون عنها أحدًا".

وهذه الميزة لا يعرفها إلّا كثيري السّفر، فإنّ الإنسان بعد مشقّة السّفر يكون وقت تسكينه في السّكن من أصعب الأوقات عليه، فحينما يدخل إلى فندق أو يدخل إلى مكان الإجراءات الّتي يقومون بها لإدخاله وتسكينه في غرفته ودلالته عليها تكون ثقيلةً جدًّا توازي ثقل السّفر نفسه، فكان من رحمة الله بهم أن يُدخلهم فيدلّهم!

وفي الحديث أنّ النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((وَالّذي بَعَثَنِي بِالْحَقّ، مَا أَنْتُمْ فِي الدّنيا بِأَعْرَفَ بِأَزْوَاجِكُمْ، وَمَسَاكِنِكُمْ مِنْ أَهْلِ الجنّة بِأَزْوَاجِهِمْ وَمَسَاكِنِهِمْ إِذَا دَخَلُوا الجنّة))[1].

وفي الحديث أيضًا: ((إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ النَّارِ حُبِسُوا عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجنّة وَالنَّارِ فَيُقْتَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدّنيا حَتَّى إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَهُمْ بِدُخُولِ الجنّة فَوَالّذي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ أَهْدَى بِمَنْزِلِهِ فِي الجنّة مِنْهُ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدّنيا))[2].

كيف؟ الله أعلم لكنّه نوع من أنواع النّعيم، نسأل الله من فضله.

أوصاف مساكن أهل الجنّة

ومن أوصاف مساكن الجنّة: "مساكن طيّبة":

قال تعالى: {يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}[3].

(١) صفة الجنّة، للأصبهاني.
(٢) الجامع الصّحيح للسّنن والمسانيد.
(٣) الصّفّ: ١٢.

هنا خبر عن النّعيم الّذي سيكون لهؤلاء الّذين يؤمنون بالله ويجاهدون في سبيل الله، أنّ الله سيدخلهم {جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ} ومساكن وصفها الله -عزّ وجلّ- بأنّها {طَيِّبَةً} أي جمعت كلّ طيّب من عُلُوّ وارتفاع وحسن بناء وزخرفة، وبناء الجنّة بعضها من لبِن ذهب، وبعضها من لبِن فضّة، وخيامها من اللّؤلؤ والمرجان، بعض المنازل من الزّمرّد والجواهر الملوّنة بأحسن ألوان، وقد مرّ معنا صفاؤها حتّى أنّه يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، فيها من الطِّيبِ والحُسن ما لا يأتي عليه وصف الواصفين ولا خطر على قلب أحد من العالمين، لا يمكن أن يُدركوه حتّى يروه، ويتمتّعوا بحُسْنه وتقرّ أعينهم به، ففي تلك الحال لولا أنَّ الله خلق أهل الجنّة وأنشأهم نشأةً كاملةً لا تقبل العدم لأوشك أن يموتوا من الفرح، سبحان الله!

فسبحان من لا يُحصي أحدٌ من خلقه ثناءً عليه بل هو كما أثنى على نفسه وفوق ما يُثني عليه عباده، وتبارك الله الجليل الجميل الّذي أنشأ دار النّعيم وجعل فيها من الجلال والجمال ما يُبهر عقول الخلق ويأخذ بأفئدتهم، وتعالى من له الحكمة التّامة الّتي من جملتها أنّ الله لو أرى الخلائق الجنّة حين خلقها ونظروا إلى ما فيها من النّعيم لما تخلّف عنها أحد، ولما هَنَأَهُم العيش في هذه الدّار المنغّصة المشوب نعيمها بألمها، ومشوبٌ فرحها بترحها، فهي دار ممرّ وليست دار مستقرّ، أمّا تلك فقد سُمّيت بجنّة عدن لأنّ أهلها مقيمون فيها لا يخرجون منها أبدًا ولا يبغون عنها حولًا، سبحان الله! ذاك الثّواب الجزيل والأجر الجميل والفوز العظيم الّذي لا فوز مثله، فهذا ثواب ربّ العالمين {ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}، والخاسر من خسر هذا النّعيم!

خير ما نسأل الله به

قال تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ}[1].

(١) سورة التّحريم: ١١.

نرى كيف أنَّ امرأة فرعون في ذاك النّعيم الّتي كانت فيه في الدّنيا، ومع ذلك لمّا آمنت علمت أنّه لا شيء وأنَّ النّعيم الحقيقيّ عند الله، فدعت وناجت: أنْ {نَجِّنِي} من جوار أهل الكفر إلى جوارك، وهذا دليل على أنّهم صدّوها عن الإيمان، وزيّنوا لها أنّها إن آمنت بموسى تُضِيعُ مُلْكًا عظيمًا وقصرًا فخيمة، فهي عقلت ذلك، وكأنّها قالت مثلما قال السّحرة: {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَاۖ فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ}[1] فسألت ربّها، وهو موقف غاية في العظمة يحتاج كثيرًا من التّفكير، امرأة أشجع من كثير من الرّجال، تركت هذه الدّنيا، والله -عزّ وجلّ- ثبّتها فطلبت عند ربّها البيت، وقد ورد في بعض الآثار كما ذكر الطّبري أنّ امرأة فرعون كانت تُعذَّب في الشّمس فإذا انصرف عنها فرعون أظلّتها الملائكة بأجنحتها وكانت ترى بيتها في الجنّة! فهذا من عظيم فضل الله، أن يثبّت النّفوس باليقين بما أُعِدّ لها من نعيم.

وهذا دائمًا نقوله لأنفسنا إذا ضاقت البيوت، نقول: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}، وإذا ضاقت الأرزاق: (نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يوسّعها علينا، وأن يجعل نصيبنا في الجنّة أنهارًا تجري وثمارًا تُقطف وقُصورًا تُسكن)، وهكذا يُرغِّب الإنسان نفسه فيما عند الله فَتَطيب نفسه، وتَصْلح حاله، ويَرضى عن الله.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من الرّاضين المشتاقين الّذين أشغلتهم مساكنهم في دار الحقّ عن مساكنهم في دار الباطل، وغرسوا في قصورهم الأشجار بتسبيحهم وذكرهم لربّهم، وتركوا التّعلّق بالدّنيا وما فيها. نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يلحقنا بالصّالحين وأن نكون نحن وذرارينا ووالدينا ووالديهم والمسلمين من أهل هذه القصور والغرف والخيام، وأن يجمعنا ناجين غير محبوسين عن دار النّعيم، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) سورة طه: ٧٢.

اللّقاء العاشر

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

سابعًا: غلمانها

ثامنًا: آنيتها وأكوابها وكؤوسها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

بسم الله والصّلاة والسّلام على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

نبدأ في مجلسنا العاشر من مجالس التّشويق إلى الجنّة، وبعدما نظرنا إلى هذه النّعمة العظيمة الّتي هي نعمة تعريفنا بما في الجنّة فناقشنا:

- أبوابها.
- وريحها.
- وتربتها.
- وأشجارها وثمارها.
- وأنهارها وعيونها.
- وقصورها وخيامها وغرفها.

سابعًا: غلمان أهل الجنّة

في مجلسنا هذا نناقش: "غلمان أهل الجنّة"، ونبدأ بما ورد عنهم كما في سورة الواقعة حيث سُمّوا: {وِلْدَانٌ}، ووُصفوا بأنّهم: {مُخَلَّدُونَ}، أتت في سياق الكلام عن حال السّابقين:

قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ (١٠) أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ (١١) فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ (١٢) ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ (١٣) وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ (١٤) عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ (١٦) يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (١٧) بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ}[1].

(١) سورة الواقعة: ١٠-١٨.

هؤلاء {عَلَىٰ سُرُرٍ}، والسُّرر منسوجة بالذّهب واللّؤلؤ مُشَبَّكَة بالدّرّ والياقوت، وهذه السُّرر المنسوجة يكونون {مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ} في اتّكائهم، أي وجوه بعضهم إلى بعض، وفيهم صفة أنّهم لا يَكبرون، {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} فلا يكبرون، ولا يشيبون، ولا يتغيّرون، ويطوفون {بِأَكْوَابٍ}، وهذه الأكواب فيها من أنواع الشّراب، وأيضًا {كَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ} ومرَّ معنا أنَّ هذا الكأس يُقصد به ما يكون فيه الخمر.

فهؤلاء خدمهم، ونرى أنّهم يدورون على أهل الجنّة لقضاء حوائجهم، وهم صغار في السّنّ في غاية الحسن والبهاء، كما وُصفوا في سورة الطّور: {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} يعني مستور ما يناله ما يُغيّره، ويدورون عليهم بهذه الآنية الّتي فيها شرابهم، وهذا الكأس الّذي فيه الخمر اللّذيذ لا آفة فيه، كما مرّ معنا.

نرى خبرهم في الطّور:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ (١٨) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (١٩) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ (٢٠) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ ۚ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ (٢١) وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}[1].

إذًا السّياق واضح أنّ الكلام فيه عن المتّقين، وهذا وصف بأنّهم: {فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ (١٧) فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ}، ويُقال لهم: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، ووُصفوا بأنّهم: {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}، فسورة الطّور تصفهم بأنّهم مجتمعون، إلى أن تصفهم بأنّهم: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}، أي يدور فيها الكأس

(١) سورة الطّور: ١٧-٢٤.

ويتعاطونه بأنفسهم، ويطوف عليهم الولدان المخلّدون بأكواب وأباريق، وهذه الأكواب والأباريق والكأس كلّها من الطَّيِّب، ليس في الجنّة كلام لهو ولا إثم ولا معصية، فكلامهم كلّه طَيِّب، يُسَرُّون به، يُفرح قلوبهم، عشرتهم أحسن معاشرة، يتنادمون أطيب المنادمة، لا يسمعون من ربّهم إلّا ما يُقرّ أعينهم ويدلّ على رضاه.

من ذلك أنّه يطوف لهم غلمان خدم شباب، {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ} من حسنهم وبهائهم يقضون حاجاتهم، ففي الطّور هؤلاء أهل الجنّة مجتمعون يتنازعون، حتّى أنّ الآيات الّتي بعدها تأتي: {أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}[1]، وهذا من زيادة النّعيم: أنَّ خدَمَهم يخدمونهم وهم مجتمعون، كما أنَّهم يخدمونهم وهم منفردون.

أيضًا يأتي هذا الوصف في سورة الإنسان، نبدأ من أوّل السّياق من وصف الأبرار:

قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}[2].

إذًا هذا أوّل السّياق وفيه كلام عن النّعيم، ثمّ أتت أفعالهم، ثمّ أتى جزاؤهم مرّة أخرى في الآية (١١):

قال تعالى: {فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤) وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا (١٨) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩) وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ

(١) سورة الطّور: ٢٥.

(٢) سورة الإنسان: ٥-٦.

نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١) إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}[1].

يعني هذا من شُكْر الله لسعيهم لأنّ الله شَكُور، ومن ذلك أنّه يطوف على أهل الجنّة في طعامهم وشرابهم وخدمتهم {وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} يعني خُلقوا من الجنّة للبقاء، لا يتغيّرون ولا يكبرون، فـ{غِلْمَانٌ}، {وِلْدَانٌ} كلّها كلمات تدلّ على الكثرة:

- {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ}: في الواقعة والإنسان.
- {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ}: في الطّور.

كلّه يدلّ على كثرة أعدادهم. تزيد سورة الإنسان وسورة الطّور في وصف شدّة جمالهم:

- {كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}.
- {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}.

ففيها شدّة جمال. ثمّ إنّك تسمع أنّهم يطوفون يتسابقون لخدمة أهل الجنّة، ومن ثمّ لا يوجد ملل ولا تذمّر من خدمة أهل الجنّة، وما دام أنّهم {غِلْمَانٌ}، {وِلْدَانٌ}، إذًا سنونهم صغيرة، وما دام أنّهم {مُخَلَّدُونَ} إذًا لا يكبرون ولا يموتون، ما يهرمون ولا يتغيّرون.

ثمّ إنّك تسمع عنهم أنّك {إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا}، وهذا يدلّ:

- **أوّلًا**: على كثرتهم.
- **ثانيًا**: على صفاء ألوانهم وحسن مظهرهم.

---

(١) سورة الإنسان: ١١-٢٢.

لماذا {مَنْثُورًا} وليس منظومًا؟ فهم مبثوثون في خدمة أهل الجنّة وحوائجهم. ولننظر للنّساء حينما يلبسن ملبوسًا ويكون فيه لؤلؤ منثور في الملبوس، فترى فيه جمالاً مختلفًا عن اللّؤلؤ المعقود، وتصوّر بساط الجنّة من ذهب أو حرير، وتصوّر فوقه هؤلاء كاللّؤلؤ المنثور على بساط أحمر أو أخضر، وهذا اللّون الّذي لا تستطيع أن تصفه في أرض الجنّة، فتجد جمالاً وروعةً لا يمكن وصفها!

ودائمًا يتغنّى الشّعراء بنثر الذّهب وبنثر ما يُتزيّن به، فعُلم من ذلك أنّ اللّؤلؤ المنثور لهؤلاء الغلمان وصف كمال، وعلّمنا أنّ هؤلاء يُسَرّ أهل الجنّة برؤيتهم، ويدخلون عليهم مساكنهم آمنين من تبعاتهم، يأتونهم بما يريدون وتطلبه نفوسهم، ولذلك قيل بعدها: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا} أي إذا رَمَقْت هناك ورأيت كيف أنّهم مخدومون يأتيهم كلّ ما يريدون، عندهم قصور ومساكن وغُرف، وعندهم خدم وثمار وفواكه وأنهار، فماذا يكون بعد هذا؟! فكلّ شيء في غاية الحسن، حتّى خدمهم في غاية الحسن، مخلّدون، مؤبّدون، فتتمّ لذّة العيش وتكمل الغبطة {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}.

ثامنًا: آنيتها وأكوابها وكؤوسها

فإذا علمنا حال الخدم نعلم بأيّ شيء يَخْدمون، وبأيّ آنية يطوفون عليهم؟

آنية الجنّة

نبدأ بما ورد في سورة الإنسان:

قال تعالى: {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}.

{يُطَافُ عَلَيْهِمْ} يعني يُطاف على أهل الجنّة بهذه الآنية؛ فتنظر مجالسهم مجالس السّعادة، وتنظر آنيتهم آنية الفخامة، فتكون آنيتهم {مِنْ فِضَّةٍ} كما هو هنا، وآنيتهم تكون {مِنْ ذَهَبٍ} كما

في سورة الزّخرف: قال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ}(١).

إذًا لديهم:

- {صِحَافٍ}.
- و{أَكْوَابٍ}.
- و(كؤوس).
- و{أَبَارِيقَ}.

(الصّحاف) هي الآنية الّتي يوضع فيها الطّعام، وتكون من ذهب.

وقد قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((لَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا، فَإِنَّهَا لَهُمْ فِي الدّنيا وَلَكُمْ فِي الْآخِرَةِ))(٢)، وهذا لا يعني أنّ كلّ صِحَاف الجنّة من الذّهب، فقد ورد أنّ جنّتان من ذهب آنيتهما وحليتهما وما فيها، وجنّتان من فضّة.

أيضًا لديهم {أَبَارِيقَ} وهو الإناء الّذي يوضع فيه الشّراب، وهي الأكواب الّتي لها عُرِيّ وخراطيم، وسُمّي إبريقًا لأنّه صافٍ يبرق لونه، ومعدن هذه الأباريق من الفضّة، وهذه الفضّة غير فضّة أهل الدّنيا فإنّه يُرَى من ظاهرها ما في باطنها، فالأباريق أكبر من الأكواب لها عُرِيّ وخراطيم ينسكب منها الماء، فالأكواب تُملأ من (الأباريق).

(١) سورة الزّخرف: ٧١.

(٢) معرفة السّنن والآثار للبيهقي.

ومن آنيتهم أيضًا: (الأكواب) فـ{يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ}، والأكواب هي الآنية الّتي يُسكب فيها الشّراب من الأباريق ويُشرب منها مباشرةً، ومعدن الكوب من الذّهب الخالص والفضّة، كما في سورة الزّخرف والإنسان.

ومن آنيتهم: (القوارير) وهذه القوارير هي الزّجاج بياضها بياض الفضّة، وصفاؤها صفاء الزّجاج، فهذه من الآنية الّتي يشربون فيها ويستعملونها.

وفي قوله تعالى: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}[1] موضوعة بمعنى موجودة، مخلوقة، موضوعة في أيديهم للتّلذّذ بها، يجدونها على حافات العيون ويستعملونها، فهي موضوعة بكثرة في كلّ مكان، على المائدة، على العيون وعلى الأنهار، في القصور وفي الحدائق، وفي كلّ مكان تكون جاهزةً تحت الطّلب، وهذا من زيادة النّعيم لأنّ النّاس قد يوجد ما يشربونه لكن يفتقدون ما يشربون فيه، وقد يكون قذرًا أو مقزّزًا أو وقع فيه ما يصدّ النّفوس عنه، فهنا الآنية بنفسها الّتي يُشرب فيها تشرح الصّدر، فكيف المشروب وكيف رائحته! وقد مرّ معنا أنّ: {خِتَامُهُ مِسْكٌ}[2]، وأنّ: {مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا}[3]، وكلّ هذا من نعيم أهل الجنّة.

أسأل الله بمنّه وكرمه أن يبلّغنا تلك الدّيار سالمين غانمين بعيدين عن غضبه وسخطه -سبحانه وتعالى- إنّه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) سورة الغاشية: ١٤.

(٢) سورة المطفّفين: ٢٦.

(٣) سورة الإنسان: ١٧.

اللّقاء الحادي عشر

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

يتبع ثامنًا: آنيتها وأكوابها وكؤوسها

تاسعًا: أثاثها وفرشها

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: آنيتها وأكوابها وكؤوسها

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله نعبد الله بالعلم عن جنّته الّتي وَعَدَ، راجين أن يكون هذا العلم وهذا الشّوق عبادةً وقُربَةً إليه، ويكون سببًا لصلاح قلوبنا وصلاح أعمالنا، وأن يُعاملنا -سبحانه وتعالى- بمغفرته ورحمته، فبعدما عَلِمْنا واشتَقْنا ما يَحْرِمنا من أسباب الوصول إليها، ويُعاملنا بعفوه ورحمته وفضله؛ فيرفعنا فيها درجات!

قد مرّ معنا الحديث حول آنية الجنّة، وعرفنا أنّ في الجنّة آنيةً كثيرةً مختلفة الأجناس والأنواع:

- منها الآنية.
- ومنها الصّحاف.
- ومنها الأباريق.
- ومنها الأكواب.
- ومنها الكؤوس.

ذُكرت هذه الآنية في القرآن، وأنَّ الله -عزّ وجلّ- أعدّها لأهل الجنّة يستعملونها في أكلهم وشُربهم، ومرَّ معنا أنّ معادن هذه الآنية منها الذّهب، ومنها الفضّة، وغير ذلك ممّا أخفاه الله، ونقف على بعض هذه الأوصاف للآنية الّتي يستعملها أهل الجنّة:

آنية الأكواب

نناقش ما ورد في وصف "آنية الأكواب" وخاصّةً ما ورد في سورة الغاشية من وصْفها أنّها: {أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}:

قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}[1].

أتى الكلام عن الأكواب، في سياق ذكر نعيم أهل الجنّة، وأنّ {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}، و{سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ}، ومن ذلك أنّ فيها: {أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}، وهذه الأكواب معطوفة وسيأتي بعدها: {نَمَارِقُ} و{زَرَابِيُّ}، جميعها متاع للمساكن الفائقة، فهذا وصف لمحاسن الجنّة، بمحاسن أثاث قصورها، وقد مرّ معنا أنّ لهم قصور وغرف وخيام، فهذه الأماكن لها أثاث وهذا الأثاث من محاسنها، وأمّا كونها {مَوْضُوعَةٌ} فقد تكلّم أهل العلم عن هذه اللّفظة:

- فقال بعضهم: أنّها {مَوْضُوعَةٌ} في أيديهم للاستماع بالنّظر إليها لأنّها من ذهب وفضّة، وغير ذلك ممّا يكون مُعْجِبًا لأصحابه والله أعلم به، فهي {أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ} يتمتّعون بالنّظر إليها.
- وقيل: أنّها {أَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}، ما تُحْمَلُ عنهم، ولا تُبْعَدُ عنهم، لأنّها مُستعمَلَة على الدّوام لشُربهم منها، فما يحتاجون وقت ما يشتهون الشّراب أن ينادوا على كوب، بل الأكواب موضوعة بين أيديهم.

(١) سورة الغاشية: ٨-١٦.

- وقيل: أنّها {مَوْضُوعَةٌ} على حَافَات العيون، بحيث أنّهم عندما يشتهون الشّراب تكون هذه الأكواب موجودةً على حَافَّة العين.

جميع هذه المعاني توصلنا إلى أمر واحد وأنّ هذه الأكواب موضوعة بكثرة في كلّ مكان، على موائدهم، على عيونهم، عند أنهارهم، في القصور والحدائق، في كلّ مكان جاهزة تحت الطّلب، بمعنى أنّ أهل الجنّة لا يحتاجون إلى طلبها وانتظار قدومها، وهذا تفصيل دقيق للنّعيم، إنّك هناك ما تنتظر ولا تحتاج أن تعبد الله بعبادة الصّبر، فالصّبر هنا في الدّنيا، ولذا تكرّر في القرآن أنّ الجنّة (جزاء للصّابرين، جزاءً بما صبروا)؛ لأجل أن يُعْلَم أنّ الوصول إليها لا بدّ أن يكون فيه صبر على المنع، صبر على الحرمان، صبر على تأخير المراد، لا بدّ أن يكون هناك صبر على هذا كلّه، لكن في الجنّة لا يَحْتاج حتّى إلى طلبها وانتظار قدومها، وهذا فيه من كمال اللّذّة الشّيء الكثير.

ومن عالج الحياة ورأى الأحوال ورأى كيف تتأخّر عليه الأمور، أو حتّى الكأس الّذي يريد أن يشرب به يتأخرّ عليه، كيف تكون مشاعره في تلك اللّحظة، فكان من النّعيم أنّه لا ينتظر قدوم شيء، ولذلك جعلها الله صفةً لازمةً لهذه الأكواب، فقال لنا: {وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ}، وهي في نفس الوقت فيها من الجمال، بحيث تصبح تحفةً يستمتع النّاظر إليها، لعجيب صنعتها وظهور منّة الله فيها، ولذا يُقال لنا دائمًا: إذا دخلت الجنّة سَتَرَتْكَ الجنّة بنعيمها فما تحتاج أن تخرج منها! فكلّ ما فيك يتمتّع إن كان نظرك أو سمعك أو بصرك، وكلّ ما فيك يتلذّذ بهذا النّعيم في الجنّة، نسأل الله لنا ولوالدينا ولوالديهم ولذرارينا وأحبابنا وللمسلمين أن تكون تلك الدّار هي سُكْنانا، اللّهمّ آمين.

وصف الكؤوس

ممّا أتى أيضًا ما ورد في سورة الطّور والصّافات، فلو نظرنا إلى سورة الطّور وما ورد في وصف الكؤوس:

يقول الله تعالى: {وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ}[1].

مرّ معنا الكلام حول هذه الآية، كيف أنّهم {يَتَنَازَعُونَ} يعني تدور كَأْسَاتُ الرّحيق والخمر عليهم ويتعاطونها فيما بينهم، وكيف أنّ هذا التّنازع والتّعاطي يكون عن طريق الولدان المخلّدون، يطوف عليهم الولدان المخلّدون بأكواب وأباريق وكأس {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}، وهنا الشّاهد: {لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ}.

فالكأس معناها الإناء الّذي فيه الخمر، والعرب تُسمّي الإناء إذا كان فيه خمر (كأسًا).

وقيل: أنّ الإناء إذا كان مملوءً بأيّ نوع من الأشربة يُسمّى كأسًا، وهنا حصل تنازع هل كلّ إناء فيه شراب يُسمّى كأسًا، أو كلّ إناء فيه خمر خاصّةً يُسمّى كأسًا؟

الّذي يظهر التّعميم، أنّ كلّ إناء فيه شراب يُسمّى كأسًا، فهؤلاء {يَتَنَازَعُونَ} يعني يتداولون، يتعاطون، يُعطي بعضهم بعضًا أكواب الشّراب، فكيف يتداولونها؟ هل هو نفس الكوب؟ وقد قلنا: أنّ هناك أكوابًا موضوعةً كثيرةً؟ هناك عدّة أقوال:

- **قيل: أنّها وصفٌ تفصيليٌّ للحالة**: أي إمّا أنّهم يصبّ بعضهم لبعض الخمر ويناوله ضيافةً وإكرامًا. أو أنَّ تنازعهم الكأس إنّما هو مجاذبة بعضهم لبعض من باب الأنس والمداعبة.

---

(١) سورة الطّور: ٢٢-٢٤.

وقيل: أنّ هذا وصف لمجلسهم: أنّهم مجتمعون ويأخذون من هذا الشّراب وهم في حالة مستقرّة، ويكون أخذهم هذا فيه أُنس، فكونهم يأخذون من نفس الشّراب ممكن أن يُتصوّر أنّ هذا نَزْع، لكن المهمّ أن نعرف أنّهم لا يشربون في كأس واحدة؛ لأنّه في الجنّة لا أحد ينتظر أحدًا في النّعيم، إنّما يشتركون في النّعيم.

معنى أوّل: هذا الشّراب في هذا السّياق بالذّات الأقرب أن يكون خمرًا؛ لأنّ فيها نفي لأمرين، والظّاهر أنّ الأمرين صفة للكأس؛ لأنّ {لَا لَغْوٌ فِيهَا} الضّمير عائد إلى الكأس، فوُصف بأنّه: {لَا لَغْوٌ فِيهَا}، و {لَا تَأْثِيمٌ}، فلا يُصاحبه لغو ولا تأثيم، شاربها لا يأتيه بسبب شُرْبها (اللّغو) وهو الكلام الباطل، ولا (الإثم) بالسِّبَاب أو بالضَّرب؛ لأنّها خمر ليست مثل خمور الدّنيا.

معنى آخر: لو أخذنا {كَأْسًا} على أنّها شراب، يكون المعنى: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا} أي في الجنّة، أيضًا {لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ} أي في الجنّة. فلو انتفى اللّغو والتّأثيم في الجنّة، انتفى أن يكون في شرابها سبب لذلك.

فالشّاهد هنا أنّ أهل الجنّة منزّهون عن كلّ ما يحصل في الدّنيا من آثار الشّراب سواءً كان سقْط الكلام أو الهذيان الّذي يصدر عن خلل العقل، أو الآثام في الأقوال أو الأفعال أو الضّرب أو الشّتم أو تمزيق الثّياب، هذا كلّه -والعياذ بالله- من آثار هذه المشروبات في الدّنيا، وهؤلاء يفعلون بأنفسهم الأفاعيل بسببها، ولكنّ أهل الجنّة منزّهون عن ذلك كلّه، لأنّهم في عالم الحقائق والكمالات، فهم حكماء علماء، وفي الدّنيا أهل الجاهليّة كانوا يمتدحون عقل الّذي يتنزّه عن الخمر، وفيما اشتهر قيس بن عاصم أنّه حرَّم على نفسه الخمر لأنّها تُعرّضهم لهذه الفلتات.

الشّاهد هنا أنّهم يتعاطون فيها {كَأْسًا} من الخمر، لا يتكلّمون فيها بكلام لاغٍ، أي لا هذيان فيه ولا إثم، وأنّهم بهذا تكمل لذّاتهم ويكمل اجتماعهم، ففهمنا من هذا أنّ هؤلاء من فضل الله

يجتمعون، وعلمنا من الآية الّتي بعدها تأكيدًا لهذا: {وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}[1] عن أمور الدّنيا وأحوالها.

لنتصوّر الأمر: {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}، وقد {أَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ} يعني هم في تلك الأحوال وهم يشربون أقبل بعضهم على بعض يتساءلون، فمعناها ستطيب أبدانهم وأرواحهم فيتحدّثون ويتساءلون عن أعمالهم وعن أحوالهم في الدّنيا، بكلّ أمر يُدخل عليهم الأُنس، فكثير من أحوال الدّنيا الّتي نعيشها -نسأل الله أن يرزقنا جنّات النّعيم- كثير من أحوال الدّنيا يكون فيها غموض، فإذا اجتمع أهل الجنّة بأحبابهم سألوا وتبيّن لهم، ومن أعجب ما قيل في هذا قول ابن حجر -رحمه الله رحمةً واسعةً وأسكنه جنّات النّعيم هو وعلماءنا ومن سبق من سلفنا الصّالح-

يقول ابن حجر أنّه إذا دخل الجنّة ولقي البخاري سيسأله لِمَ وضعت هذا الحديث في هذا الباب؟ يعني أشكل عليه حديث معيّن، فمن شدّة ثقته بالله وليس هذا من باب تزكيته لنفسه لكن هذا من شدّة الثّقة بالله واليقين بما أُخبر، ومعرفة أنّ أهل الجنّة يجتمعون فيتساءلون عمّا غمض عليهم بل ويتعلّمون، وهذا ما أطيبه! فيريد أن يجتمع بالبخاري في الجنّة لأجل أن يسأله لِمَ وضع هذا الحديث في هذا الباب! يعني أنّه فكّر وتعب يريد أن يفهم مقصود البخاري وما استطاع، فأمّل أن يكون هذا في اللّقاء الّذي ليس مثله لقاء!

ومن المعلوم أنّ الفرق فيما بين البخاري وابن حجر قرون طويلة، ومع ذلك الأمل باقٍ في اللّقاء، أسأل الله -عزّ وجلّ- أن يجمعنا بنبيّنا -صلّى الله عليه وسلّم- وصحابته الكرام وبأمّهات المؤمنين وبالطّيبين السّابقين من الأنبياء والصّالحين، اللّهمّ آمين.

---

(١) سورة الطّور: ٢٥.

تاسعًا: أثاث أهل الجنّة وفرشها

نعود مرّة أخرى إلى سورة الغاشية، نُجْمِل ما ذُكر فيها من أثاث، ثمّ نُفصّل ما ذُكر في بقيّة السّور:

قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}.

سنبدأ أوّلًا ببَيَان أنّ هذه الجنّة العظيمة فيها أثاث:

- منها السّرر الّتي وصفها أنّها {مَرْفُوعَةٌ}.
- ومنها الأكواب ووصفها أنّها {مَوْضُوعَةٌ}، وقد مرَّ معنا الكلام عنها.
- وفيها نمارق ووصفها أنّها {مَصْفُوفَةٌ}.
- وفيها زرابي ووصفها أنّها {مَبْثُوثَةٌ}.

سنتكلّم عن كلّ واحدة منهم على حدة:

سرر الجنّة

نبدأ بالكلام عن السّرر، وقد ورد ذكرها في سورة الغاشية وأيضًا في سورة الطّور والصّافات:

قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ}[1].

قال تعالى: {عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}[1].

(١) سورة الطّور: ٢٠.

قال تعالى: {عَلَىٰ سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ (١٥) مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ}[٢].

"والسَّرِيرُ: الذي يجلس عليه من السّرور، إذ كان ذلك لأولي النّعمة، وجمعه أَسِرَّةٌ، وسُرُرٌ"[٣]، معناها أنّ السّرير في الحقيقة إنّما يكون لأولي النّعمة.

في هذه الآيات وُصفت السُّرر بصفات منها أنّها: {مَوْضُونَةٍ}، وأنّها: {مَرْفُوعَةٌ}، وأنّها: {مَصْفُوفَةٍ}:

- **الصّفة الأولى: {مَوْضُونَةٍ}:** و(الوضن): بمعنى النّسج المضاعف المحكم، يعني منسوجة نسجًا مضاعفًا متداخلًا بعضها على بعض، و(الوضن): هو نسج الدّرع، ثمّ استُعير لكلّ نَسْج محكم.

وقد ذكر عن ابن عباس أنّه قال: في السّرر الموضونة أنّها "مرمولة بالذّهب". وذكر مجاهد: أنّها "موصولة بالذّهب"، يعني منسوجة بقضبان الذّهب، مكلّلة بالدّرر والياقوت.

فهذه الصّناعة إنّما هي بأمر الله، قال لها كوني فكانت، مصنوعة منسوجة متقنة تفوق حدود الخيال، وفوق هذه الصّناعة المتقنة فهي مُزيّنة بالجواهر من اللّؤلؤ والدّرر والياقوت، ممّا يُدخل السّرور للقوم الّذين أُعدَّت لإسعادهم.

- **الصّفة الثّانية: {مَرْفُوعَةٌ}:** وللمفسّرين فيها أقوال:

قيل: أنّها مرفوعة القدر والمكانة.

---

(١) سورة الصّافّات: ٤٤.

(٢) سورة الواقعة: ١٥-١٦.

(٣) يُنظر المفردات في غريب القرآن، الرّاغب الأصفهاني.

وقيل: أنّها مرفوعة حسّيًّا "أَيْ عَالِيَةٌ"[1]، وقد ذُكر من ذلك مقاس قيل: أنّها في السّماء مائة ذراع، فإذا أراد الرّجل أن يجلس تواضعت له، فإذا جلس ارتفعت.

وقيل: كما ذكره الطّبري في فائدة أن تكون مرفوعةً: "ليرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما خوّله ربه من النعيم والملك فيها، ويلحق جميع ذلك بصره"[2].

إذًا معنى ذلك أنّها شريفةٌ عالِيَةُ القَدْرِ والقيمة، وعاليةٌ حسّيًّا، كما أنّها عاليةٌ معنويًّا.

- **الصّفة الثّالثة: {مَصْفُوفَةٍ}**: يعني جُعلت صفوفًا متقابلةً، معنى ذلك أنّ وجوه بعضهم إلى بعض، وهذا كما في الصّافّات: {عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، وهذا فيه ما فيه من كمال اللّذّة، وكمال الاحترام، والأنس ما فيه، فلا يقابل بعضهم ظهور بعض.

ويُقصد بذلك أنّ هذه الأسرّة ليست كأسرّة الدّنيا أُعدّت للنّوم، إنّما هي لمسامرة الأحبّة، ولمضاجعة النّسوة والحديث معهنّ، وقد وردت بعض الآثار أنّ هذه الأسرّة تسير بأصحابها في الجنّة، فلها وظائف مخفاة، لكن من المؤكّد أنّها وُضعت للنّعيم، سواءً في كونها جميلة {مَوْضُونَةٍ}، أو كانت {مَرْفُوعَةٌ} مرفوعة القدر والمكان، أو كانت {مَصْفُوفَةٍ} فأهلها متقابلون، وهذه ثلاث صفات للسُّرر.

الأرائِك

أيضًا من أثاثهم: "الأرائك"، سنقرأ أوّلًا كلّ ما ورد في "الأرائك" ثمّ نجمع المعنى، وقد وردت في سورة يس، والكهف، وفي الإنسان:

موطن سورة يس: قال تعالى: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ}[1].

---

(١) تفسير القرطبي، الآية (١٣) سورة الغاشية.

(٢) تفسير الطّبري، الآية (١٣) سورة الغاشية.

موطن سورة الكهف: قال تعالى: {أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۚ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا}[٢].

موطن سورة الإنسان: قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}[٣].

نعود لأوّل السّياق في سورة يس من الآية (٥١):

قال تعالى: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ (٥٣) فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٥٤) إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ (٥٥) هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ (٥٦) لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ (٥٧) سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ (٥٨) وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}[٤].

أتت الآية تصف أنّهم {عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} في سياق وصف الحالة الّتي سيصلون إليها بسبب الإيمان، في مقابل ما سيكون عليه أهل الكفر أنّه يُقال لهم بعد ذلك: {وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ}.

نبدأ من أوّل السّياق: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ} وهذا يُقال لمن حقّ عليهم العذاب، إعلامًا لهم أنّهم خسروا خسارةً عظيمةً، وأنّهم فرّطوا في طلب الفوز في الآخرة، وهذا

(١) سورة يس: ٥٦.
(٢) سورة الكهف: ٣١.
(٣) سورة الإنسان: ١٣.
(٤) سورة يس: ٥١-٥٩.

معناه أنَّ أهل الجنّة يُعجّل بهم إلى النّعيم، فيُقال لأهل النّار: {إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ} أي مشغولون، فهذا الموقف الّذي هم فيه: معناه أنّهم {فِي شُغُلٍ} عن مشاهدة موقف أهل العذاب، فيصرفهم الله عن هذه المزعجات.

{فِي شُغُلٍ} ما حالهم فيه؟ {فَاكِهُونَ}، يتفكّهون بالمزاح المُسِرّ والمُضْحِك. فأصحاب الجنّة {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ} في هذه الحال {فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} في الجنّة الّتي أُعدّت لهم، سواءً أزواجهم الّذين كانوا معهم في الدّنيا، أو الحور العين.

الشّاهد أنّهم {فِي ظِلَالٍ} أي في قِبَابٍ {عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} "والأريكَةُ: اسْمٌ لِمَجْمُوعِ السَّرِيرِ والحَجَلَةِ، فَإذا كانَ السَّرِيرُ في الحَجَلَةِ سُمِّيَ الجَمِيعُ أرِيكَةً"، أي مُركّب من الأمرين، فهم {عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ} "والِاتِّكاءُ: هَيْئَةٌ بَيْنَ الِاضْطِجاعِ والجُلُوسِ وهو اضْطِجاعٌ على جَنْبٍ دُونَ وضْعِ الرَّأْسِ والكَتِفِ عَلى الفِراشِ"، (وَكَأَ) أي اعتمد، فهم في حالة استرخاء، وهذه الجلسة تُطلب "لِلرّاحَةِ والإطالَةِ، وهو جِلْسَةُ أهْلِ الرَّفاهِيَةِ، ... وكانَ المُتَرَفِّهُونَ مِنَ الأُمَمِ المُتَحَضِّرَةِ يَأْكُلُونَ مُتَّكِئِينَ كانَ ذَلِكَ عادَةَ سادَةِ الفُرْسِ والرُّومِ ومَن يَتَشَبَّهُ بِهِمْ مِنَ العَرَبِ"، يجلسون هذه الجلسة، "ولِذا قالَ النَّبِيءُ صلّى الله عليه وسلّم: ((أمّا أنا فَلا آكُلُ مُتَّكِئًا))[1]"[2]؛ لأنّ الاتّكاء فيه إفراط في الرّفاهيّة.

فالمقصود أنّهم في هذا المجلس يجلسون هذه الجلسة الّتي هي دليل الرّفاهية {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ} فهم يأكلون هذه الفاكهة وهم متلذّذون: أي {فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ}، {لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ}. وهذه الأرائك الّتي جلسوا عليها إنّما هي (السُّرُرُ) مجموعةٌ مع (الحَجَلَة) وهي قِبَابٌ فيها سُتُرٌ تُعَلَّق فوق السّرير تُظِلُّه، فالحِجَال مثل القبّة تُعَلَّق عليها الأقمشة والثّياب والسُّتور

(١) رواه الترمذي في سننه، قال الألباني صحيح.

(٢) التّحرير والتّنوير، ابن عاشور، تفسير الآية (٥٦) سورة يس.

للعروس، فهذه (الأرائك) مُركّبة من ثلاثة أمور: السّرير، والحَجَلَة، والفراش الّذي على السّرير، ولذلك لا يُسمّى السّرير أريكةً إلّا إذا جمع هذه الثّلاثة، فـ"الأَرِيكَةُ: سَرِيرٌ مُنَجَّدٌ مُزَيَّنٌ فِي قُبَّةٍ أَوْ بَيْتٍ"(١).

إذًا علمنا أنّ عندهم (سُرُر)، وعندهم (أرائِك) وهو السّرير بإضافة القُبّة الّتي يُعلَّق عليها قطعة القماش الجميلة تَتَّصل بها وتُزيّنها، فهم في هذا غالبًا يكونون مع أهلهم، لأنّه في الأصل الأرائك إنّما هي للعروس، إذًا (السُّرُر) يتقابلون فيها مع أحبّتهم وزُوّارهم، و(الأرائك) يُسْتَرون فيها مع أهلهم وخاصّتهم، فإذا كان ذلك كذلك عُلم أنّ أثاثهم فيه العامّ وفيه الخاصّ.

وبقي إن شاء الله أن نتكلّم عن الفرش والنّمارق والزّرابي في لقائنا القادم بأمر الله.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) الصّحاح تاج اللّغة وصحاح العربيّة، الجوهري، أبو نصر.

اللّقاء الثّاني عشر

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

تاسعًا: يتبع أثاثها وفرشها

عاشرًا: سوقها ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أثاث أهل الجنّة وفرشها

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على نبيّنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

لا زلنا بفضل الله نُشوّق أنفسنا لجنّة الرّحمن -سبحانه وتعالى- الّتي يدخلها العبيد بعدما يتقرّبون إلى ربّهم بالتّوحيد، ويعملون ما يدلّ على صدق هذا التّوحيد، فيُعاملهم إثر ذلك بعفوه فيُزحزحهم عن النّار، ثمّ يُعاملهم برحمته فيُدخلهم الجنّة، ثمّ يُعاملهم بفضله فيَرفعهم درجات في "جنّات النّعيم"، فنسأل الله أن يمنّ علينا بصحّة التّوحيد، وبالحَوْل والقوّة والإرادة والعزم والتّوفيق للعمل الصّالح، وأن يُعاملنا بعدها بعفوه ورحمته وفضله إنّه جواد كريم.

توقّفنا في الجلسة الماضية في الكلام حول أثاث أهل الجنّة، فعرفنا أنّ لهم (سُررًا)، وأنّ لهم (أرائك)، وعرفنا أنّ لهم مجالس خاصّة، ومجالس عامّة، واليوم إن شاء الله نناقش أنّ لهم (فُرشًا)، فنسمع ما جاء في ذلك في سورة الواقعة والرّحمن:

فرُش الجنّة

موطن سورة الرّحمن: قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ (٤٦) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٧) ذَوَاتَا أَفْنَانٍ (٤٨) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٤٩) فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ (٥٠) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥١) فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (٥٢) فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ (٥٣) مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ}[١].

موطن سورة الواقعة: وقال تعالى: {وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}[٢].

(١) سورة الرّحمن: ٤٦-٥٤.

(٢) سورة الواقعة: ٣٤.

(الفُرُش) هذا اسم لأثاث من أثاث أهل الجنّة، و(الفُرُش) في الأصل هو ما يُفرش ويُبسط على الأرض للجلوس عليه، و(فُرُش) الجنّة تفوق حدود ما يوصف؛ لأنّها في الأصل لم توضع للوقاية من أوساخ الأرض، ولم توضع للوقاية من ألم الجلوس على الأرض؛ لأنّ هذا كلّه منتفٍ في الجنّة، بل أوجدها الله -عزّ وجلّ- لزيادة البهجة والفرح والسّرور، ولمّا وصف سبحانه أنّهم {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}، فهذا وصف لباطن (الفُرُش) الّذي سيكون للأرض، فكيف سيكون ظاهرها إذا كان باطنها {مِنْ إِسْتَبْرَقٍ}؟! وهذا الإستبرق يُدخل بهجةً على النّظر عظيمة، فكيف سيكون جماله وزينته؟! وأيضًا هذا يدلّ على أنّ هذه (السُّرُر) محشوّة فيها بِطانَة!

فالمقصود أنّ هؤلاء يتّكئون -كما مرّ معنا- فهذه جلسة أهل التّرف المخدومين، وهذه جلسة أخرى غير جلسة (السُّرُر)، يجلسون جلسة الاتّكاء، جلسة الرّاحة، وهم لا يحتاجون أن ينهضوا حتّى يتناولوا، ويظهر لنا أنّ {بَطَائِنُهَا} أي: البطن الّذي هو ضدّ الظّهر من كلّ شيء، الجهة السّفلى، والجهة العليا تعاكسها، ونحن نقول: (بطانة الثّوب) فهو داخله، فالمقصود إذا كانت بطائن فرش الجنّة من إستبرق، فكأنّه يُقال: فلا تسأل عن ظاهرها فإنّها أجود من ذلك، ولا ثوب من الثّياب المعروفة في الدّنيا أنفس من الإستبرق، وهو صنف رفيع من الحرير، الدّيباج الغليظ، والدّيباج نسيج من حرير، يُنسج بخيوط الذّهب، فإذا كان باطنها من أجود أنواع الثّياب، في مقابل أنّ النّاس في الدّنيا فُرُشُهم محشوّة إمّا بصوف أو قطن أو ليف؛ من أجل أن لا يؤلمهم في أبدانهم فيبطّنوه بهذه الأمور، ثمّ يلبسونه بثوب ظاهرٍ يجمّلونه به فيكون الثّوب الظّاهر أحسن من الباطن، لكن هنا يُقال لنا: بطائن الفرش الّتي يتّكئون عليها من إستبرق من حرير موشّح بخيوط الذّهب، فيُقال لنا: كيف يكون ظاهرها؟ وهذا مثل ما قال المفسّرون من التّنبيه من الأدنى على الأعلى، فنبّه على شرف الظّاهرة بشرف البطانة. وقد كان ابن مسعود يقول: "هذه البطائن فكيف لو رأيتم الظّواهر"! وكان شُريك يقول: "بطائنها من استبرق وظواهرها من نور جامد"؛ لأنّ الاستبرق له لمعان وضوء، وقيل: أنّه لم يُذكر لنا الظّواهر لأنّها من شأن لا يدركه الإنسان، يعني أنّ ظواهر هذه الفرش لها صفة غير مُدركة، فقيل: ربّما كان

هذا المقصود أن اعلموا أنّ الباطن يُشبه في دنياكم الحرير بل هو أفخر أنواع الحرير، والظّاهر الله أعلم به من جماله ورقّته ونعومته وبهجته الّتي يدخلها على العين وعلى الحِسّ والبدن، وهذا أمر ملاحظ في الوصوفات، أنّه يوصف لنا ما نعرف اسمه لكي نتصوّره، وما لا ندركه أو نعرفه يُترك فلا يُذكر والله أعلم به، ولكن يُقال لنا: انظروا بَواطن هذه (الفُرُش) من حرير وذهب، يتّكئون عليها في أحسن حال، وطالما أنّ بواطنها بهذه الصّفة فكأنّه يُقال: وماذا عن ظواهرها؟!

وقد ورد في الواقعة أنّها {فُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ}، فصفة الرّفع والله أعلم أنّها تكون درجات، فـ(الفُرُش) تكون في الدّرجات وبين الدّرجات، وقد قيل: أنّ ما بين الفراشين كما بين السّماء والأرض، وهذه (الفُرُش) موجودة في كلّ محلّ وموطن مُهَيَّئَة للجلوس عليها، فالله أعلم أين تكون مرفوعةً، هل هي مرفوعة بين الدّرجات، أو تكون مرفوعةً عاليًا في الهواء بدون أن يكون تحتها شيء، الله أعلم، لكنّنا نعتقد أنّها مرفوعة، ونسأل الله أن يرزقنا رِفْعَتَهَا ونشهد على ذلك.

النّمارق والزّرابيّ

وكما وُصفت الفُرُش وصفت النّمارق والزّرابيّ:

قال تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ (٩) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (١٠) لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً (١١) فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ (١٢) فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤) وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ (١٥) وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}[1].

{نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ}: (النّمارق) وَاحِدَتُهَا نُمْرُقة[2]، وقيل: نِمْرِقة، بضمّ النّون أو بكسرها، وهي الوسائد، {نَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ} أي وسائد مصفوفة بجانب بعضها البعض، مصفوفة صفًّا فيه من

(١) سورة الغاشية: ٨-١٦.

(٢) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور.

الجمال والكمال ما يُدهش النّاظرين؛ لأنّ الشّيء إذا عُرف بصفة دلّ على قُوّة الصّفة بهذا الشّيء، فهي مصفوفة بعضها إلى بعض، وَصَفُّهَا بحدّ ذاته من جمالها، بالإضافة إلى نفعها.

فالمقصود وصف حال الرّاحة والرّفاهية الّتي يعيشونها، ومن هذا الوصف أنّ نمارقهم، (الوسائد) {مَصْفُوفَةٌ} لأنّها من مَحاسن المجالس، وقد ورد أنّ هذه (الوسائد) من الحرير ومن الإستبرق وغير ذلك ممّا لا يعلمه إلّا الله، قد صُفّت للجلوس والاتّكاء، وهم كما هو واضح في الآية أُرِيحُوا أن يضعوها أو يصفّوها بأنفسهم، بل هي عَطِيَّةٌ لهم.

{زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}: "و(الزّرابيّ) البُسُط الحِسَان"[1]، وهي "ضرب من الثياب محبّر منسوب إلى موضع"[2]، يُقصد بهذا الكلام: أنّ الزرابيّ نسبةً إلى بلد من بلاد فارس، وبعض المعاصرين قال: أنّ (الزّرابيّ) تُنسب إلى أذربيجان، والله أعلم بالصّواب. وأذربيجان مشهورة بنعومة صوف أغنامها، واشتهرت بدقّة صنع البُسط ورقّة ما تصنعه، فأصبحت مشتهرةً عند العرب. وهذه (الزّرابيّ) {مَبْثُوثَةٌ} أي "المُنْتَشِرَةُ عَلى الأرْضِ بِكَثْرَةٍ"[3].

قال الله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ (٣) تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً (٤) تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ (٥) لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}[4].

سيتبيّن لنا في السّورة كيف أنّ هذه الصّفات كلّها قُوبلت بصفات أهل النّار:

- فقد وُصفوا بأنّ وجوههم: {خَاشِعَةٌ (٢) عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ}، في مُقابل أنّ هؤلاء صفات وجوههم: {نَاعِمَةٌ (٨) لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ}.

(١) تفسير السّعدي، الآية (١٦) سورة الغاشية.
(٢) مفردات ألفاظ القرآن، الرّاغب الأصفهاني.
(٣) يُنظر: تفسير ابن عاشور، الآية (١٦) سورة الغاشية.
(٤) سورة الغاشية: ٢-٧.

- وهناك: {تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً}، وهنا: {فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ}.
- هناك: {تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ}، وهنا: {فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ}.
- وفي حقّ أهل النّار ذُكر شقاء عيشهم: {لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ (٦) لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ}، في مُقابل مقاعد أهل الجنّة المشعِرَة بالتّرف، كيف أنّ لهم شراب ومتاع، ومن بين هذا أنّ هناك: {زَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ}، كانت النّمارق مصفوفة والزّرابي مبثوثة، أي ليست مصفوفة بترتيب وإنّما مبثوثة بثًّا يُبهج الخاطر ويسرّ النّاظر.

ولو تأمّل المتأمّل هذه الصّورة في الدّنيا كيف أنّ بُسُطًا تكون مبثوثةً في كلّ مكان في بستان مليء بالوُرود والخُضرة والأشجار والثّمار لَوَجَدَهَا غايةً في الجمال، وكلمة {مَبْثُوثَةٌ} نفسها تدلّ على كثرتها.

ونُلاحظ: أنّ الفُرُش {مَرْفُوعَةٌ}، والزّرابيّ {مَبْثُوثَةٌ}، والنّمارق {مَصْفُوفَةٌ}، وقد ذكر ابن القيّم في "حادي الأرواح" كلامًا يدلّ على أنّ رفع (الفُرُش) يدلّ على سُمكها ولينها، وبثّ (الزّرابيّ) يدلّ على كثرتها وأنّها في كلّ موضع، لا يختصّ بها صدر المجلس ولا جوانبه، وَوُصفت (النّمارق) الّتي هي المساند بأنّها مُهيّئة للاستناد عليها، ليست مُخبّأةً بل تُصَفّ صفًّا. فهذا شيء من أثاثهم.

الرّفرف والعبقريّ

وأيضًا من أثاثهم: (الرّفرف)، و(العبقريّ) ننظر:

موطن سورة الرّحمن: قال تعالى: {مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}[1].

{رَفْرَفٍ}: الرّفرف اختلف أهل العلم في معناها على أقوال:

(١) سورة الرّحمن: ٧٦.

- **قيل**: أنّها البُسط.
- **وقيل**: أنّها الوسائد.
- **وقيل**: أنّه قماش يوضع على ظهر الفراش للنّوم عليه.

والله أعلم أنّها قماش خفيف جميل المظهر والملمس يكون فوق الفُرُش، ربّما اسمه عندنا "الشّراشف"، ليس الغطاء إنّما الشّرشف الخفيف وملوّن ذا بهجة، لأنّ الكلمة اشتقاقها ظاهر من رفّ الشّيء إذا تحرّك، وهذا مناسب لأن يكون خفيفًا رقيقًا بعيدًا عن السّماكة، قال ابن القيّم: "يُقال رفرف الطّير"، فهذا الّذي يظهر.

وأيضًا يوجد شاهد يزيد الأمر، وهو في خبر وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((فرُفِعَ الرَّفْرَفُ فَرأيْنَا وَجْهَهُ كأنَّهُ ورقَةٌ))[1] فمعناه كما ذُكر أنّها الشّراشف لأنّها خفيفة ورقيقة، فالّذي يظهر أنّها توضع على المكان الّذي يجلسون عليه تزيده جمالًا.

{عَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ}: هنا نقف أمام هذه الكلمة من جهة اللّغة، فنجد أنّ (عَبْقَر) مأخوذة من وادٍ كان يسكنه الجنّ بكثرة، و(العبقريّ) ذات صلة بالجنّ. من اللّطائف البعيدة عن موضوعنا أنّه عندما تحدّى الله أن يأتوا بالقرآن، تحدّى الإنس والجنّ، فكيف يأتي الجنّ بالقرآن؟ لأنّ العرب كانت تقول عن الذّكيّ الّذي يأتي بالكلام الفذّ أنّه (عبقريّ)، أي أنّه استفاد من الجنّ، فهذا أصل كلمة (عبقريّ): الوادي الّذي يسكنه الجنّ ويُنسب إليه كلّ نادر من إنسان وحيوان وثوب؛ لأنّهم كانوا يعتقدون في الجنّ كلّ صفة عجيبة، وبما أنّ (عَبْقَر) هذا كان مكانهم نسبوا إليه كلّ شيء عجيب!

(١) تفسير القرطبي.

والنّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- كان يقول: ((فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا يَفْرِي فَرِيَّهُ))[1] في حقّ عمر رضي الله عنه.

فإذا كان الكلام عن الفُرُش والأثاث، فإنّه يُقصد بهذا (العبقريّ) أنّه من أجود البُسط وأفضلها، يعني إذا بلغت القمّة في الجمال والنّعومة ودقّة الحياكة، يُقال عنها {عَبْقَرِيٍّ}.

عرفنا هذه الأسماء لأثاث الجنّة، وما سُكت عنه أكثر، لا يُكشف عنه السّتار إلّا يوم الخلود يوم الكرامات {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ}[2]، وهذا كلّه لا يعلم كنهه إلّا الله.

وقد ورد في الحديث أنّ ((الْمُقْسِطُونَ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ))[3]، فكيف تكون منابر من نور؟ نقول: الله أعلم. فهذه قاعدتنا أنّ ما سُمّي لنا اعتقدنا فيه الكمال، وما خُبّئ عنّا عَلِمنا أنّه موجود وفيه من النّعيم ما فيه لكن لا يخطر على قلب بشر. ففي الجنّة من (الأرائك) و(الفرش) و(الزّرابي) و(العبقري)، ما لا نستطيع أصلًا إدراكه، ولو وصفناه إنّما نصف الأسماء الّتي ندركها ونعرفها، وهناك من المؤكّد ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، نسأل الله التّقلّب على هذا الأثاث في مقعد صدق عند مليك مقتدر، اللّهمّ آمين.

---

(١)رواه البخاري في صحيحه/كتاب المناقب/باب علامات النبوة في الإسلام (٣٦٣٤).

(٢) سورة السّجدة: ١٧.

(٣) مسند البزار.

عاشرًا: سوق أهل الجنّة ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة

نأتي للكلام حول: "سوق أهل الجنّة":

ورد في الحديث الّذي رواه أبو هريرة أن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- قال: ((فَنَأْتِي سُوقًا قَدْ حَفَّتْ بِهِ المَلَائِكَةُ، فِيهِ مَا لَمْ تَنْظُرِ العُيُونُ إِلَى مِثْلِهِ، وَلَمْ تَسْمَعِ الآذَانُ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى القُلُوبِ فَيُحْمَلُ إِلَيْنَا مَا اشْتَهَيْنَا، لَيْسَ يُبَاعُ فِيهَا وَلَا يُشْتَرَى))[1].

ورد في الحديث عَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيِّبِ، أَنَّهُ لَقِيَ أَبَا هُرَيْرَةَ فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْمَعَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ فِي سُوقِ الجنّة، فَقَالَ سَعِيدٌ: أَفِيهَا سُوقٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَنَّ أَهْلَ الجنّة إِذَا دَخَلُوهَا نَزَلُوا فِيهَا بِفَضْلِ أَعْمَالِهِمْ، ثمّ يُؤْذَنُ فِي مِقْدَارِ يَوْمِ الجُمُعَةِ مِنْ أَيَّامِ الدّنيا فَيَزُورُونَ رَبَّهُمْ، وَيُبْرِزُ لَهُمْ عَرْشَهُ وَيَتَبَدَّى لَهُمْ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ الجنّة، فَتُوضَعُ لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ وَمَنَابِرُ مِنْ لُؤْلُؤٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ يَاقُوتٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ زَبَرْجَدٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَنَابِرُ مِنْ فِضَّةٍ، وَيَجْلِسُ أَدْنَاهُمْ وَمَا فِيهِمْ مِنْ دَنِيٍّ عَلَى كُثْبَانِ المِسْكِ وَالكَافُورِ، مَا يَرَوْنَ أَنَّ أَصْحَابَ الكَرَاسِيِّ بِأَفْضَلَ مِنْهُمْ مَجْلِسًا)). قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَهَلْ نَرَى رَبَّنَا؟ قَالَ: ((نَعَمْ))، قَالَ: ((هَلْ تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ وَالقَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ؟)) قُلْنَا: لَا. قَالَ: ((كَذَلِكَ لَا تَتَمَارَوْنَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ))[2]، المقصود أنّ هذا السّوق يجتمعون فيه كلّ يوم جمعة، وتهبّ عليهم ريح طيّبة تدخل بيوتهم فيزدادون جمالًا.

وقد ورد في الحديث عن أنس بن مالك أنّ الرّسول صلّى الله عليه وسلّم قال: ((إِنَّ فِي الجنّة لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الزهد، باب صفة الجنة (٤٣٣٦). قال الألباني ضعيف.

(٢) رواه الترمذي في سننه، باب ما جاء في سوق الجنة (٢٥٤٩).

وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا))[1].

فالسّوق هنا ليست كسوق الدّنيا الّتي فيها بيع وشراء، إنّما هذا مَجْمَع لهم يجتمعون كما يجتمع النّاس في السّوق، أي أنّهم يأتونها في مقدار كلّ جمعة من الأسبوع للاجتماع وليس للبيع والشّراء، وقد اتّفقنا أنَّ الجنّة ما فيها شمس ولا ليل ولا نهار وإنّما يُقصد بمقدارها في الدّنيا، وأيضًا بالنّسبة للرّيح، ريح الجنّة سُمّيت بريح الشّمال لأنّها تأتي بالمطر تهبّ من جهة الشّام، وبها يأتي سحاب المطر، فكانت ريح الشّمال عندهم هي الرّيح الطيّبة، فلهذا سُمّيت في الحديث.

في هذه الجنّة العظيمة كما أنّ فيها النّعيم بالمُتع، فيها أيضًا النّعيم باللّقاء، والنّعيم باللّقاء يُقابِل ما في الدّنيا من الشّقاء بالافتراق، ففي الدّنيا مهما كانت علاقتك بأحبابك (الأبناء، الأزواج، والإخوان) إلّا أنّ الافتراق فيها أمر واجب من طبيعة الدّنيا لا يمكن أن يتغيّر، إذا ما افترق النّاس لأيّ سبب، يفترقون بالنّوم، يفترقون بالموت، فالافتراق لا بدّ منه، فيأتي نعيم الجنّة فيه الاجتماع.

ثمّ إنَّ من أعظم النّعيم في هذا الاجتماع هو أن يجتمعوا بربّ العالمين! هذا أعظم النّعيم، فهم في الدّنيا مشتاقون للقائه، مشتاقون لرضاه، الّذي يأتي من ورائه الخيرات والبركات، فالشّوق للرّضا والشّوق للّقاء كلّه يتحقّق لأهل الجنّة في هذا السّوق، فيجتمعون مع أحبابهم، ويجتمعون عند ربّ العالمين، وتأتي عليهم آثار الرّضا، فتأتي عليهم هذه الرّيح فتجعلهم أكثر جمالًا وتدخل بيوتهم فتزيد أهاليهم جمالًا.

(١) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة (٢٨٣٣).

مناخ الجنّة

ولذا لا بدّ من الكلام حول مناخ الجنّة كيف يكون؟! وكلامنا هنا عن مناخ الجنّة بمناسبة القول أنّه لا يوجد جمعة ولا ريح في الجنّة، نختصر الكلام فيه ثمّ نعود لمناقشة تكليم الله، ورضا الله، وما يحصل من رؤيته ورضوانه ومن التّزاور.

موطن سورة الإنسان وهو قوله تعالى: {مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}(١).

قُصِد هنا التّأكيد على أنّه ليس فيها {شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}، يعني البرد، فأُشير بالشّمس إلى الحرّ، وأُشير بنفي الزّمهرير إلى نفي البرد. وقد ذكر المفسّرون أنّ (الزّمهرير) في لغة بعض العرب أنّها القمر، فيكون معناها على هذا: لا شمس ولا قمر.

وقد ورد في الحديث الّذي رواه الإمام أحمد في وصف مناخ الجنّة، قال: ((تُحْبَسُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ، وَلَا تَرَوْنَ مِنْهُمَا وَاحِدًا)) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَبِمَا نُبْصِرُ؟ قَالَ: ((بِمِثْلِ بَصَرِكَ سَاعَتَكَ هَذِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ فِي يَوْمٍ أَشْرَقَتِ الْأَرْضُ، وَاجَهَتْ بِهِ الْجِبَالَ))(٢).

المقصود به: الوقت ما بين شروق الشّمس وقبل أن يظهر جُرْمها، وهي في الدّنيا بالنّسبة لنا الفترة الّتي نُمنع فيها من الصّلاة النّافلة بعد صلاة الفجر حتّى تطلع الشّمس بمقدار ذراع، أو بمقدار رمح، فالفترة ما بين ظهور النّور إلى ظهور جرم الشّمس هي مناخ الجنّة.

وقد سُئِل ابن عبّاس رضي الله عنه: مَا نُورُ الجنّة؟ قَالَ: "أَمَا رَأَيْتَ السَّاعَةَ الَّتِي تَكُونُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ؟ كَذَلِكَ نُورُهَا. أَلَا لَيْسَ فِيهَا شَمْسٌ وَلَا زَمْهَرِيرٌ"(٣).

---

(١) سورة الإنسان: ١٣.

(٢) مسند الإمام أحمد (١٦٢٠٦/٢٦).

(٣) صفة الجنة لأبي نعيم.

وقد ورد في الحديث: ((عَلَيْكُمْ بِالْبَيَاضِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الجنّة بَيْضَاءَ))[١]، فهذا بالنّسبة للإضاءة.

وأيضًا من مناخها أنّها ما فيها رياح، إنّما ريح طيّبة كريح الشّمال فيها نسمات لطيفة تُعرف بها، وهذا أحد تأويلات قوله تعالى: {عَرَّفَهَا لَهُمْ}[٢] يعني طيّبها لهم، من الطِّيبِ وقد مرّ معنا أنّ ريحها توجد من مسيرة خمسين عام، وبعض الرّوايات سبعين عام، وبعض الرّوايات مائة عام، وبعضها أربعين عام. فإذًا فيها نور وبَهَاء وطِيبٌ وحُسْن منظر، لكن ليس فيها شروق وغروب كما عند أهل الدّنيا.

لكن كيف نُؤوّل قوله تعالى: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا}[٣]سنؤوّله مثل ما مضى، وقد ذكر هذا التّأويل ابن عبّاس، قال: "ليس في الجنّة بكرةً وعشيًّا ولكن على قدر ما يعرفون في الدّنيا من الغداء والعشاء". وقد ذكر بعض المفسّرين أنّ المقصود بـ{بُكْرَةً وَعَشِيًّا}: الدّيمومة، فساعات أهل الجنّة تدور لكن من غير شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار إنّما هذا نور الآخرة.

فهذه الصّفة والله أعلم بأنّه لا يوجد فيها شمس، أي لا يوجد فيها حرّ ولا برد، كما في الحديث: ((لَا حَرَّ فِيهَا وَلَا بَرْدَ))[٤]، لهم فيها ما اشتهت أنفسهم، وأنَّ فيها ريح طيّبة، ولها نسائم يحبّها أهلها، فهي "جنّات عدن" لا يطلبون لها بديلًا.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهلها وأن يغفر لنا كلّ ذنب يحبسها عنّا ويحبسنا عنها، نحن ووالدينا ووالديهم وأحبابنا وذرارينا والمسلمين، اللّهمّ آمين. سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

---

(١) صفة الجنة لأبي نعيم.

(٢) سورة محمّد: ٦.

(٣) سورة مريم: ٦٢.

(٤) الزّهد والرّقاق، لابن المبارك.

اللّقاء الثّالث عشر

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة

يتبع عاشرًا: سوقها ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: سوق أهل الجنّة ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة

الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين،

لا زلنا بفضل الله في الكلام حول "جنّات النّعيم" الّتي وَعَد بها ربُّ العالمين مَنْ وَحَّدَهُ وأقبل عليه، وأشفق من لقائه، فهي منّة ووقاية، ومن العبادة النّظر إلى النّصوص الّتي وردت في الكلام حول هذه الجنّة وفهمها وتشويق النّفس بها، وقد بلغنا فيما سبق الكلام عن سُوقها وكيف أنّ أهلها يتزاورون.

عوامل مؤثّرة في الزّيارة

قبل أن نتكلّم عن الزّيارة الّتي تحصل بين أهل الجنّة لا بدّ أن نتكلّم عن عوامل مؤثّرة في الزّيارة:

- **العامل الأوّل**: الطّمأنينة وزوال الخوف (وهذا في محيطهم).
- **العامل الثّاني**: نزع أوضار القلوب وغلّها (وهذا في نفوسهم).
- **العامل الثّالث**: النّعيم الّذي به يحصل الإكرام (وقد سبق الكلام عنه).

فهذه العوامل تيسّر الزّيارة وتجعلها موطنًا للسّعادة:

العامل الأوّل: الطّمأنينة وزوال الخوف:

نبدأ بالكلام حول "نعيم الطّمأنينة" ونقرأ ما ورد في سورة الزّخرف من الكلام حول هذا النّعيم الّذي يذوقه أهل الجنّة:

يقول تعالى: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (٦٦) الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ

بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ}[1].

في هذا السّياق الكلام عن الجنّة الّتي وعد الله -عزّ وجلّ- عباده المتّقين، وابتدأ الكلام عن الأخلّاء كيف يكون {بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} هذه الآية تفيد أمرين:

الفائدة الأولى: أنَّ فيه من التّهديد ما فيه: فإنَّ الأحباب في ذلك اليوم سيصبحون أعداءً، والخليل -وهو الصّاحب الملازم؛ لأنّ الخليل سُمّي خليلًا من التّخلّل كأنّه ممتزج بصاحبه- فالخليل الّذي كان ممتزجًا يُصبح عدوًّا.

الفائدة الثّانية: أنَّ المتّقين هم الّذين اتّقوا أن يستخدموا خُلَّتهم لإغراء بعضهم بعضًا للمعاصي أو الشّرك أو الكفر، وإن افترقوا في المنازل والدّرجات يوم القيامة، لكن لهم نوعٌ من الاجتماع سنتكلّم عنه ونبيّنه -بأمر الله- في الكلام حول الزّيارة.

فكلّ صداقة وصحبة لغير الله فإنّها تنقلب يوم القيامة عداوةً، أمّا ما كان لله -عزّ وجلّ- فإنّه دائم بدوامه.

ولذا كان إبراهيم -عليه السّلام- يقول لقومه: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا}[2]. فهذا بالنّسبة لأهل الكفر.

(١) سورة الزّخرف: ٦٦-٧٣.

(٢) سورة العنكبوت: ٢٥.

يقابله أهل الإيمان والتّقوى يجتمعون مهما افترقت منازلهم، وقد ورد في الحديث: ((لَوْ أَنَّ عَبْدَيْنِ تَحَابَّا فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَاحِدٌ فِي الْمَشْرِقِ وَآخَرُ فِي الْمَغْرِبِ لِجَمَعَ اللهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَقُولُ: هَذَا الّذي كُنْتَ تُحِبُّهُ فِيَّ))[1].

هؤلاء يوم القيامة يناديهم بما يسرّ قلوبهم ويُذهب عنهم كلّ آفة، فيقول: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}، يا جماعة المتّقين الموالي بعضكم لبعض، الأخلّاء لا خوف عليكم يلحقكم فيما تستقبلونه من الأمور، ولا حزن يصيبكم فيما مضى منها، فإذا انتفى المكروه ثبت المحبوب.

فهذا فيه تطمين لأنفسهم بانتفاء الحزن عنهم في أزمنة المستقبل؛ لأنّه يمكن أن يأتيهم خاطر هل يدوم لهم الأمن الّذي هم فيه؟! فقيل لهم: {يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ}، ثمّ أتى بعد ذلك الكلام عن النّعيم.

فالمقصود أنّ المتّقين يجتمعون آمنين يوم القيامة، والطّمأنينة الّتي تحصل نتيجة الأمن هذه من أولى الأولويّات الّتي لا غنى للنّاس عنها وهي مطلبهم الأوّل، إذ به يأمن ويطمئنّ على حياته وماله وعرضه، فلا يُتصوّر نعيمًا بدونها، ولذا سنجد أنّ هذا المعنى أشير إليه في سورة الحجر وأنّ أوّل ما يجدون حال دخولهم أن يدخلوها بسلام: قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}[2].

هذا السّياق يُؤكّد ما اتّفقنا عليه: أنّ أوّل عوامل الزّيارة والاجتماع وجود الطّمأنينة والسّلام، وأنّ الله ينزع ما في صدورهم من غلّ، وأنّهم {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، وأنّهم {لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا

(١) شعب الإيمان، للبيهقي.

(٢) سورة الحجر: ٤٥-٤٨.

نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ} فكُرِّرَ السّلام لهم، فأوّل ما يدخلون يُقال لهم: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ} والله أعلم أنّ القائل هم الملائكة، تقول: {ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ}، أي مصاحب لكم السّلام فأنتم سالمون من الآفات، مُسَلَّمٌ عليكم آمنين من كلّ خوف وفزع، لا تخشوا من إخراجٍ ولا انقطاعٍ ولا فناءٍ، لا فيها تعب ولا نوم ولا نصب، ولا ينقطع شيء من نعيمها سواءً كان بمرض أو بحزن أو بهمّ أو بأيّ شيء من المكدّرات، فهذا السّلام والطّمأنينة من ألزم لوازم الجنّة.

وقد ورد في الحديث: ((يُقَالُ لِأَهْلِ الجنّة: إِنَّ لَكُمْ أَنْ تَصِحُّوا فَلَا تَسْقَمُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَعِيشُوا فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا، وَإِنَّ لَكُمْ أَنْ تَشِبُّوا فَلَا تَهْرَمُوا أَبَدًا))[1].

فأهل الجنّة يَصِحُّون للأبد ويعيشون للأبد في شباب دائم لا يعتريه هرم ولا موت، فهم في أمن لا يعتريه خوف أبدًا؛ لأنّ أسباب الخوف منتفية جملةً وتفصيلًا، فلا سبيل لوجوده، النّاس يخافون من ماذا؟ يخافون أن يهرموا، يخافون أن يمرضوا، يخافون أن يأتيهم الموت فجأةً، أحيانًا يخافون من مفارقة أوطانهم، من نزع أسباب الرّزق من بين أيديهم، وكلّ هذا إنّما هي مخاوف يعيشها الخلق، والدّنيا جُبلت عليها، إلّا أنّ الجنّة خالية منها، فهذا أوّل ما نفهمه من جهة التّزاور الّذي يحصل وهو أنّه تحقّق بوجود الأمن.

العامل الثّاني: نزع ما في صدورهم من غلّ:

قال تعالى: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ (٤٥) ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِنِينَ (٤٦) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ (٤٧) لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ}.

(١) المعجم الصّغير، للطّبراني.

{وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} هذا المعنى نفسه ورد في سورة الأعراف، قال تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٤٢) وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ۖ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ۖ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ۖ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}[1].

لنرى في هذا الموطن في آيات الأعراف لطيفةً قبل أن نُفصّل في مسألة نزع الغلّ:

يُخبر الله -عزّ وجلّ- هنا عن منّته وكرمه وإحسانه لأهل الجنّة في أنّه نزع ما في صدورهم من غلّ، هذا سيقابل وصف عذاب أهل النّار، في السّياق نفسه وُصف حال نفوسهم في المعاملة، لننظر الآيات الّتي أتت قبلها:

قال تعالى: {قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ}[2].

{كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ} ثمّ في الآية الّتي تليها: {وَقَالَتْ أُولَاهُمْ لِأُخْرَاهُمْ} كلّهم يريد لصاحبه أن يزداد من عذاب النّار! في مقابل أنّ نفوس المؤمنين هذه حالتها: {وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ}، أي إزالة ما كان في قلوبهم في الدّنيا من الغلّ، وهذا الغلّ يحصل عندما يتلقّى الإنسان ما يَسُوؤه من الغير، فالله -عزّ وجلّ- طهّر نفوسهم في هذه الحياة الكاملة عن الانفعال بخواطر الشّرّ الّتي منها الغلّ، فزال ما كان في

(١) سورة الأعراف: ٤٢-٤٣.

(٢) سورة الأعراف: ٣٨-٣٩.

قلوبهم تجاه بعضهم في الدّنيا، وزالت طبيعة الغلّ الّتي في النّفوس البشريّة لأهل الجنّة بحيث لا يخطر في نفوسهم.

فالمقصود أنّ نفوسهم تصفوا ممّا يُؤذيها، وهذا من كرمه وإحسانه -سبحانه وتعالى- على أهل الجنّة، فإنّ الدّنيا فيها غلّ، وفيها تنافس، والله -عزّ وجلّ- يقلعه ويزيله حتّى يكونوا إخوانًا متحابّين، وأخلّاء متصافّين، وهم {عَلَىٰ سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}، ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكلّ واحدٍ منهم الغبطة والسّرور. وكلّ هذا من نعمة الله على أهل الجنّة، وأنّهم عندما يجدون في نفوسهم هذا الأمر تسهل عليهم المزاورة، فتهدأ نفوس المظلومين، خصوصًا أنَّ أهل الجنّة قبل دخول الجنّة سيتطهّرون ويقتصّ بعضهم من بعض.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ أَهْلُ الجنّة الجنّة تُعْرَضُ لَهُمْ عَيْنَانِ، فَيَشْرَبُونَ مِنْ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ فَيُذْهِبُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ غِلٍّ، ثمّ يَدْخُلُونَ الْعَيْنَ الْأُخْرَى فَيَغْتَسِلُونَ فِيهَا فَتُشْرِقُ أَلْوَانُهُمْ وَتَصْفُو وُجُوهَهُمْ، وَتَجْرِي عَلَيْهِمْ نَضْرَةُ النَّعِيمِ" وَنَحْوُهُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[1].

وعن أبي أمامة، قال: "لا يدخل مؤمن الجنّة حتى ينزع الله ما في صدورهم من غلّ، ثمّ ينزع منه السبع الضاري"[2].

وهذه الحال تحصل للمؤمن بعدما يمرّ على المحطّات العظيمة الّتي تمرّ به من سكرات الموت، والمرور على الصّراط، حتّى يُحبسوا على قنطرة بين الجنّة والنّار، فهذا الّذي يأتي بعده من فرح بالنّجاة تجعلهم إخوانًا متحابّين؛ لأنّ رحمة الله أحاطتهم وأنجتهم، فهذا ما يجعل الزّيارة بعد ذلك أمرًا يسيرًا.

(١) تفسير القرطبي.

(٢) تفسير الطبري.

- إذًا نَزْع {مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} نزعًا كُلّيًّا من جذوره: يجعل الزّيارات لا تأتي بأيّ نوع من الكدر الّذي يحصل في الدّنيا.

- ونَزْع {مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ} ثمّ يصبحون {إِخْوَانًا}: هذا تأكيد أنّهم بلغوا من المحبّة والألفة ما بلغ الإخوان من محبّتهم وألفتهم، لم يقل: (كالإخوان) وإنّما: {إِخْوَانًا}، قرّر وأثبت أُخُوَّتَهم الحقيقيّة الّتي لا تزول، ولم يقل لنا: (أصدقاء على سرر متقابلين)، إنّما قيل لنا: {إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ}.

- (التّقابل): وهذا فيه دلالة على شدّة المحبّة والاحترام والتّقدير الّذي يحصل بينهم، بحيث أنّهم يتقابلون بالأوجه ولا يعطي أحد قفاه لأحد.

ورد في الحديث عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((يَخْلُصُ المُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَيُحْبَسُونَ عَلَى قَنْطَرَةٍ بَيْنَ الجنّة وَالنَّارِ، فَيُقَصُّ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ مَظَالِمُ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدّنيا، حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الجنّة))[1].

وعن أبي أُمامة، قال: "يدخل أهل الجنّة الجنّة على ما في صدورهم في الدّنيا من الشحناء والضغائن، حتى إذا توافوا وتقابلوا نزع الله ما في صدورهم في الدّنيا من غلّ"[2].

وفي الحديث الّذي أخرجه أبو نعيم في صفة الجنّة عن النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- ((إِنَّ الْغِلَّ عَلَى أَبْوَابِ الجنّة كَمَبَارِكِ الْإِبِلِ إِذَا نُزِعَ مِنْ صُدُورِ الْمُؤْمِنِينَ)) سبحان الله! يخرج ويصبح كمبارك الإبل من عظمته وكثرته!

(١) (صحيح البخاري) كتاب الرقاق/باب القصاص يوم القيامة وهي الحاقة (٨/٦٥٣٥).

(٢) تفسير الطبري.

وعن ابن عمير أنّه قال: "إِنَّهُمْ لَيَتَلَاحَظُونَ عَلَى بَابِ الجنّة كَمَا يَتَلَاحَظُ الثيران ثمّ يُنْزَعُ الْغِلُّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، فَإِذَا دَخَلُوا الجنّة فَشَرِبُوا مَا فِيهَا، أَذْهِبَ اللهُ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ مِنْ أَذًى وَقَذًى، ثمّ قَرَأَ {طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ}"(١).

فيعيش المؤمن حياةً أبديّةً لا عداوة فيها ولا غلّ ولا حقد ولا شحناء ولا بُغض، لا يحمل أحدٌ على أحد في قلبه شيئًا، يعيشون إخوانًا متحابّين متآلفين، يشتاقون لبعضهم فيتزاورون، ملوكًا على سرر متقابلين، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، فإذا تحقّق هذان العاملان: "الأمن" و"ذهاب الغلّ" أتت الزّيارة.

العامل الثّالث: النّعيم الّذي به يحصل الإكرام:

والعامل الثّالث مشهور قد سبق الكلام عنه، وهو وجود النّعيم.

تقرير الزّيارة في النّصوص

قال تعالى: {وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٢٢) يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ (٢٣) وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (٢٤) وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ (٢٥) قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ (٢٧) إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ ۖ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ}(٢).

الشّاهد في أنّهم:

- {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}.
- {وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ}.

---

(١) الزهد للإمام أحمد.

(٢) سورة الطّور: ٢٢-٢٨.

{وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ}.

فهم جالسون، مجتمعون، متزاورون، ويسأل بعضهم بعضًا عن أمور الدّنيا وأمور الآخرة.

وَقَدْ وَرَدَ فِي هَذَا الْمَقَامِ حَدِيثٌ رَوَاهُ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَزَّارُ فِي مُسْنَدِهِ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنّةِ الجنّةَ اشْتَاقُوا إِلَى الْإِخْوَانِ، فَيَجِيءُ سَرِيرُ هَذَا حَتَّى يُحَاذِيَ سَرِيرَ هَذَا فَيَتَحَدَّثَانِ، فَيَتَّكِئُ هَذَا وَيَتَّكِئُ هَذَا فَيَتَحَدَّثَانِ بِمَا كَانَ فِي الدّنيا، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا لِصَاحِبِهِ: يَا فُلَانُ تَدْرِي أَيَّ يَوْمٍ غَفَرَ اللَّهُ لَنَا؟ يَوْمَ كُنَّا فِي مَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا فَدَعَوْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَغَفَرَ لَنَا))[1].

وفي حديث حارثة، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ يَوْمًا فَاسْتَقْبَلَهُ شَابٌّ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: حَارِثَةُ بْنُ النُّعْمَانِ، فَقَالَ لَهُ: ((كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثَةُ؟)) قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((انْظُرْ مَا تَقُولُ، فَإِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً إِيمَانِكَ؟)) قَالَ: فَقَالَ: عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدّنيا، فَأَسْهَرْتُ لِيَلِي وَأَظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الجنّة كَيْفَ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ كَيْفَ يَتَعَادَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((أَبْصَرْتَ فَالْزَمْ، مَرَّتَيْنِ، عَبْدٌ نَوَّرَ اللهُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ))[2]، يعني هذه حقيقة يصل الإنسان فيها إلى حدّ الرّؤية.

أمّا الطّريقة الّتي يتزاورون فيها، فقد جاءت بعض الأحاديث أنّهم يتزاورون وهم على الإبل، وهم على الخيول، وهذه أحاديث في مُجملها ضعيفة، بعضها موقوفة على بعض الصّحابة، لكن أيًّا كان فالتّزاور موجود، وفي الحديث الّذي مضى أنّ السُّرُر بنفسها تكون سائرةً.

مسألة: هل يزور الأعلى من هو أدنى منه، أو الأدنى من هو أعلى منه؟

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) شعب الإيمان، للبيهقي.

لا يوجد حديث واضح في هذا الشّأن إلّا حديث رواه الطّبراني وذكره ابن كثير، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيَتَزَاوَرُ أَهْلُ الجنّة؟ قَالَ: «يَزُورُ الْأَعْلَى الْأَسْفَلَ، وَلَا يَزُورُ الْأَسْفَلُ الْأَعْلَى إِلَّا الّذين يَتَحَابُّونَ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، يَأْتُونَ مِنْهَا حَيْثُ شَاءُوا عَلَى النُّوقِ مُحْتَقِبِينَ الْحَشَايَا»[1]، فهذا فيه خبر، الله أعلم بصحّته.

والمعنى أنّ صاحب الرّتبة الأدنى لا يصحّ له أن يتعدّى، ربّما لكي لا يرى من النّعيم ما هو فوقه، لكن نحن في هذه الأمور لا نخوض، نُثبت الزّيارة وأنّهم سيلتقون ويتحادثون ويتسامرون ويتذاكرون، لكن كيف؟ وأين؟ الله أعلم، وقد مرّ معنا سوق الجنّة وهو مكان للاجتماع، كذلك مرّ معنا أنّ سُرُرهم تتحرّك، والله أعلم.

فالمقصد أنّ هؤلاء المكرّمين يستأنسون بأصحابهم كما كانوا يستأنسون في الدّنيا بأصحابهم بل وأعظم، ويأكلون ويشربون معهم، ويُطعمون بعضهم، وهذا كلّه على حال الكمال في الجنّة، نسأل الله من فضله.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل النّعيم، وأن يغفر لنا كلّ ذنب يحول بيننا وبين تلك الدّار العظيمة الّتي أعدّها الله للمتّقين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

(١) المعجم الكبير، للطّبراني.

خلاصة المبحث الثاني (أوصاف الجنّة)

الحمد لله، رُزقنا من العلم في المبحث الثّاني عن (أوصاف الجنّة):

أوّلًا: (أبوابها): ورد ذكر أبواب الجنّة في القرآن ودخول الملائكة منها يرحّبون بأهلها ويبشّرونهم. وأتى الخبر عن صفات هذه الأبواب في السّنّة وأنّ عددها ثمانية أبواب عظيمة، ولها حِلَق، نبيّنا هو أوّل من يمسك بها ويستفتحها، وأمّته هي أوّل من تدخلها بعد الأنبياء. هذه الأبواب مرتّبة على الأعمال وكلٌّ يُوفّق لعمل يلزمه فيدخل من بابه، وهناك أعمال تسبّب دخول الإنسان من كلّ الأبواب.

ثانيًا: (ريحها): للجنّة ريح ثبت الخبر عنها في كثير من الأحاديث، وريح الجنّة هو عُرفها الّذي يُدرك عن طريق الأنف وهي رائحة عبقة زكيّة تملأ كلّ الجنّة يُدركها من في الجنّة والمقبل عليها، وقد تصل للأنبياء وللرّسل ولخاصّة من الأصفياء وهم في الدّنيا، إذا اشتمّها أحد حرّكت أعماق فؤاده وجذبتها إلى الله، فيتحرّك مُمتثلًا أمر الله!

ثالثًا: (تربتها): تربة الجنّة تختلف عن تربة الأرض بل هي بحدِّ ذاتها متعة للنّاظرين، لونها مثل الزّعفران، وريحها المسك، تتمتّع العين بالنّظر إليها، ويتمتّع البدن بلمسها، ويتمتّع الأنف بشمّها.

رابعًا: (أشجارها وثمارها): لأشجار الجنّة أوصاف كثيرة أتى الخبر عنها وعن ثمارها في الأحاديث الصّحيحة. هي لا تُشابه أشجار الدّنيا ولا تماثلها إلّا في الأسماء فقط. من أشجار الجنّة: (شجرة طوبى)، و(سدرة المنتهى). ومن ثمارها: (النّخل)، و(السّدر)، و(الطّلح المنضود)، و(العنب)، و(الرّمان).

خامسًا: (أنهارها وعيونها):

أنهار الجنّة عظيمة: ورد الخبر عن أنواع منها في القرآن والسّنّة، فأنهار من ماء، وأنهار من لبن، وأنهار من خمر، وأنهار من عسل، وهذا كلّه في الدّنيا موجود إلّا أنّه ليس أنهارًا بل يأتي بالمشقّة! تتفجّر الأنهار من أعلى علّيّين، من "الفردوس الأعلى"، وتجري بلا أخدود تسيل على وجه أرض الجنّة مرتفعةً عن مستواها في شأن لا يمكن أن يوصف. أنهار الجنّة متعدّدة، ما ذُكرتْ لنا كلّها وإنّما ذُكر البعض منها: (نهر الكوثر)، و(نهر بارق)، و(نهر البيدخ) أو (البيدح)، وما لا نعلمه نؤمن به ونصدّق ونعلم أنّ الله -عزّ وجلّ- قد جعل في الجنّة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

عيون الجنّة متعدّدة: يشرب منها المتّقون وهي نوع آخر من النّعيم. أخبر الله -سبحانه وتعالى- في القرآن عن ثلاثة هي: (عين الكافور)، و(عين السّلسبيل)، و(عين التّسنيم). للعيون صفات: أنّ أهلها متى شاؤُوا وأينما شاؤُوا فجّروها بلا جهد، وأنّها جارية يجري ماؤها بغزارة ثمّ يسيل فيجري على أرض الجنّة، وأنّها تنضخ بالماء، وقيل: أنّها تنضخ بالمسك والعنبر على دور أهل الجنّة كما أنّ المطر تنضخ على أهل الدّنيا!

سادسًا: (قصورها وغُرفها وخيامها): (قصور الجنّة) لا توصف من جمالها وكمالها، تُسكن أبد الآباد بلا خوف ولا حزن ولا همّ! و(غُرف الجنّة) تحمل معنيين: إمّا أنّها الغُرف المبنيّة العالية الّتي فوق القصور، أو أنّها منزلة من أعالي منازل الجنّة خُصّ بها الأتقياء، وأكثر العلماء على المعنى الثّاني. و(خيام الجنّة) من اللّؤلؤ والمرجان وهي أيضًا من منازل الأتقياء، تُضرب لهم خارج مساكنهم في البساتين وعلى شواطئ الأنهار، جُعلت لهم لإتمام نعمة الله عليهم.

من ألطف الأشياء في الجنّة أن يعرف أهل الجنّة منازلهم أوّل ما تطأ أقدامهم الجنّة مباشرةً ينطلقون إلى أماكنهم! ومن أوصاف مساكنهم أنّها (مساكن طيّبة) جمعت كلّ طيّب من عُلُوّ وارتفاع وحسن بناء وزخرفة، بناؤها تنوّع بين لبِن ذهب، ولبِن فضّة، وزمرّد وجواهر ملوّنة بأحسن الألوان، لها صفاء حتّى أنّه يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها. وإنّ خير ما نسأل الله به ما سألت به امرأة فرعون ربّها، حين طلبت عنده (البيت)، فإذا ضاقت البيوت نقول: {رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ}، وإذا ضاقت الأرزاق نسأل الله -عزّ وجلّ- أن يوسّعها علينا، وأن يجعل نصيبنا في الجنّة أنهارًا تجري وثمارًا تُقطف وقُصورًا تُسكن.

سابعًا: (غلمانها): وردت تسميتهم في القرآن: بـ(الغلمان) و(الولدان)، وهم خدم أهل الجنّة، وهذا من زيادة النّعيم أنَّ لهم خدَمًا صغارًا في السّنّ في غاية الحسن والبهاء لا يتغيّرون ولا يكبرون، يطوفون عليهم يتسابقون لخدمتهم.

ثامنًا: (آنيتها وأكوابها وكؤوسها): هي كثيرة مختلفة الأجناس والأنواع منها: (الآنية)، و(الصّحاف)، و(الأباريق)، و(القوارير)، و(الأكواب)، و(الكؤوس).

تاسعًا: (أثاثها وفرشها): (السُّرُر والأرائك) عُلم أنّ أثاث أهل الجنّة فيه العامّ وفيه الخاصّ: فـ(السُّرُر) يتقابلون فيها مع أحبّتهم وزُوّارهم، و(الأرائك) يُسْتَرون فيها مع أهلهم وخاصّتهم. (فرُش الجنّة) فُرُش مرفوعة أوجدها الله -عزّ وجلّ- لزيادة البهجة والفرح، هي موجودة في كلّ محلّ وموطن مُهَيَّئَة للجلوس عليها. (نمارق مصفوفة) هي وسائد من حرير ومن إستبرق وغير ذلك ممّا لا يعلمه إلّا الله، قد صُفّت للجلوس والاتّكاء عَطِيَّةً لأهل الجنّة. و(زرابيّ مبثوثة) هي بُسُط حِسَان منتشرة على الأرض بكثرة. (الرّفرف) قماش خفيف جميل المظهر والملمس يكون فوق الفُرُش، يوضع على المكان الّذي يجلس عليه أهل الجنّة تزيده جمالًا. و(العبقريّ) يُقصد به أجود البُسط وأفضلها الّتي بلغت القمّة في الجمال والنّعومة ودقّة الحياكة.

عاشرًا: (سوقها ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة): (سوق أهل الجنّة) هذا مَجْمَع لهم يأتونه في مقدار كلّ جمعة من الأسبوع للاجتماع مع أحبابهم وليس للبيع والشّراء، ثمّ إنَّ من أعظم النّعيم أن يجتمعوا فيه عند ربّ العالمين، فتأتي عليهم آثار الرّضا، وتأتي عليهم ريح طيّبة تجعلهم أكثر جمالًا، وتدخل بيوتهم فتزيد أهاليهم جمالًا. (مناخ الجنّة) ليس فيها شروق وغروب كما عند أهل الدّنيا ولا يوجد فيها شمس فلا حرّ ولا برد، وإنّما فيها ريح طيّبة كريح الشّمال، ولها نسائم لطيفة تُعرف بها ويحبّها أهلها. (للزّيارة عوامل مؤثّرة) تجعلها موطنًا للسّعادة هي: الطّمأنينة وزوال الخوف (وهذا في محيطهم)، ونزع أوضار القلوب وغلّها (وهذا في نفوسهم)، والنّعيم الّذي به يحصل الإكرام.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا من أهل النّعيم، وأن يغفر لنا كلّ ذنب يحول بيننا وبين تلك الدّار العظيمة الّتي أعدّها الله للمتّقين.

اللّقاء الرّابع عشر

الخاتمة: أعظم نعيم الجنّة وأعظم من كلّ نعيم!

أوّلًا: أعظم نعيم الجنّة!

رؤية ربّ العالمين

الكلام مع ربّ العالمين

ثانيًا: أعظم من كلّ نعيم!

رضوان الله -سبحانه وتعالى-

الخاتمة: أعظم نعيم الجنّة وأعظم من كلّ نعيم!

أوّلًا: أعظم نعيم الجنّة!

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا هو لقاؤنا الأخير الّذي نختم به سلسلة الكلام حول "نعيم الجنّة" وهذا الجزء الأوّل من هذه السّلسلة، وبأمر الله نُرزق مرّةً أُخرى أن نُشوّق أنفسنا إلى جنّات ربّ العالمين مآل المؤمنين، وهي أمل جميع المتّقين الطّامعين في رحمة ربّ العالمين، نسأل الله أن يرزقنا الجنّة نحن ووالدينا ووالديهم وذرارينا وأحبابنا وجميع المسلمين.

رُؤية ربّ العالمين

نختم الكلام حول أعظم ما في الجنّة من نعيم وهي: "رُؤية ربّ العالمين":

وقد ورد في صحيح مسلم: عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنّة الجنّة، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجنّة وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ تبارك وتعالى، ثمّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ}[1].

عَنْ صُهَيْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي قَوْلِهِ: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} قَالَ: ((إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الجنّة الجنّة نَادَى مُنَادٍ: إِنَّ لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ مَوْعِدًا، قَالُوا: أَلَمْ يُبَيِّضْ وُجُوهَنَا وَيُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ وَيُدْخِلْنَا الجنّة؟ قَالُوا: بَلَى، فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا أَعْطَاهُمْ شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِ))[2].

---

(١) صحيح مسلم (كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربّهم (١/١٨١).

(٢) سنن التّرمذي (أبواب صفة الجنة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رُؤْيَةِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ٢٥٥٢) صححه الألباني.

فهذا هو أعظم نعيم يتنعّم به أهل الجنّة، وقد ثبت في هذه الأحاديث الّتي وردت في صحيح البخاري ومسلم. والله -عزّ وجلّ- حين أنعم عليهم بالنّعم العظام من النّجاة من النّار ودخول الجنّة تفضّل عليهم هذا الفضل العظيم، وهو معنى قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ}[1] فهذه هي الزّيادة الّتي هي: "الفضل العظيم".

وقد سُئل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- عن الآية: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ} فقال صلّى الله عليه وسلّم: ((لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعَمَلَ فِي الدُّنْيَا لَهُمُ الْحُسْنى وَهِيَ الْجَنَّةُ وَالزِّيَادَةُ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ))[2].

وقد ورد في الحديث أيضًا عن الرّسول صلّى الله عليه وسلّم: ((بَيْنَا أَهْلُ الجنّة فِي نَعِيمِهِمْ، إِذْ سَطَعَ لَهُمْ نُورٌ، فَرَفَعُوا رُءُوسَهُمْ، فَإِذَا الرَّبُّ قَدْ أَشْرَفَ عَلَيْهِمْ مِنْ فَوْقِهِمْ، فَقَالَ: السّلام عَلَيْكُمْ يَا أَهْلَ الجنّة قَالَ: وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ}، قَالَ فَيَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَيَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى شَيْءٍ مِنَ النَّعِيمِ، مَا دَامُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ، حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُمْ، وَيَبْقَى نُورُهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْهِمْ فِي دِيَارِهِمْ))[3].

هذه أدلّة على وقوع الرّؤية، والرّؤية أيضًا أتت بلفظ اللّقاء:

مثل قوله تعالى: {تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ}[4].

ومثله قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}[1].

---

(١) سورة يونس: ٢٦.

(٢) تفسير القرطبي، الآية (٢٦) سورة يونس.

(٣) سنن ابن ماجه (باب ما أنكرت الجهمية (١/١٨٤) حكمه: ضعيف.

(٤) سورة الأحزاب: ٤٤.

ومثله قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ}[٢].

ومثله قوله تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ}[٣].

ومثله قوله تعالى: {مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ}[٤].

ومثله قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[٥].

فلقاء الله كما فسّره طائفة من السّلف يتضمّن رؤيتهُ -سبحانه وتعالى- وقد أجمع أهل اللّسان على أنّ اللّقاء يستلزم المعاينة والرُّؤية، وهذا مثل لمّا أرسل النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم- إلى أصحابه فقال لهم: ((اصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ ورَسولَهُ، فإنِّي علَى الحَوْضِ))[٦].

وفي الحديث قال صلّى الله عليه وسلّم: ((مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ))[٧]، هذه العقيدة سبب للشّوق لرؤيته -سبحانه وتعالى- وسبب لحُسن العمل حتّى يحصل هذا اللّقاء.

ففي الحديث عن جرير -رضي الله عنه- قال: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَنَظَرَ إِلَى القَمَرِ لَيْلَةً - يَعْنِي البَدْرَ - فَقَالَ: ((إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لاَ تُضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا فَافْعَلُوا))[٨]، وهنا

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.
(٢) سورة الرّعد: ٢.
(٣) سورة البقرة: ٢٢٣.
(٤) سورة العنكبوت: ٥.
(٥) سورة البقرة: ٤٦.
(٦) صحيح البخاري.
(٧) متّفق عليه.
(٨) متّفق عليه.

المقصود تشبيه الرّؤية بالرّؤية وليس تشبيه المرئي بالمرئي، ومعناه ترون رؤيةً ينزاح معها الشّكّ كرؤيتكم القمر ليلة البدر لا ترتابون فيه.

وفي الحديث الثّاني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ أُنَاسٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ فَقَالَ: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ)) قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((هَلْ تُضَارُّونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ)) قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: ((فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ، فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ، فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ القَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ، وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي غَيْرِ الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا أَتَانَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِي الصُّورَةِ الَّتِي يَعْرِفُونَ، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ، وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ)) قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ))[1]، هذا الحديث ورد في صحيح البخاري وهو من أعاجيب الأخبار، وفيه أنَّ العباد يعرفون الله بأسمائه وصفاته فإذا وصلوا هناك تعرّفوا إليه بذلك.

فهذان الحديثان، الأوّل الّذي فيه: ((فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ لاَ تُغْلَبُوا))، والثّاني الّذي فيه: ((فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا فَيَتْبَعُونَهُ))، فيه أنّ من أسباب الرُّؤية العمل:

العمل الأوّل: الصّلاة: فإذا نظرنا للحديث الأوّل: ((لاَ تُغْلَبُوا عَلَى صَلاَةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا)) أي الصّلاة، خاصّةً هاتان الصّلاتان: صلاة الفجر، وصلاة العصر.

(١) متّفق عليه.

العمل الثّاني: معرفة الله بأسمائه وصفاته و أفعاله سبحانه وتعالى: فإنّ المعرفة من أعظم الأعمال الّتي يجتهد فيها العبد حتّى يصل بها إلى رضا ربّه فمعرفة الله من أسباب اليقين والاستقامة.

فالمقصود هنا أنّ الرُّؤية حاصلة، وأنّ حصول الرُّؤية مبنيّ على العمل.

وقد ورد في الحديث، عن عدي بن حاتم، قال نبيّ الله صلّى الله عليه وسلّم: ((مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، وَلاَ حِجَابٌ يَحْجُبُهُ))[1]، وهذا قد يكون كلام رضًا أو كلام سخط وغضب، نسأل الله أن يكون كلام الرّضا كلامه مَعَنَا، وأمّا أهل الكفر فهم محجوبون كما هو معلوم.

وفي الحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: ((جَنَّتَانِ مِنْ فِضَّةٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَجَنَّتَانِ مِنْ ذَهَبٍ آنِيَتُهُمَا، وَمَا فِيهِمَا، وَمَا بَيْنَ الْقَوْمِ وَبَيْنَ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَى رَبِّهِمْ إِلَّا رِدَاءُ الْكِبْرِيَاءِ عَلَى وَجْهِهِ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ))[2].

وفي حديث الشّفاعة، عن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: ((..فَيُؤْتَى عِيسَى، فَيَقُولُ: لَسْتُ لَهَا، وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأُوتَى، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَنْطَلِقُ فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، فَأَقُومُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَأَحْمَدُهُ بِمَحَامِدَ لَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْآنَ، يُلْهِمُنِيهِ اللهُ، ثمّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ لِي: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ: يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ...))[3].

---

(١) متّفق عليه.

(٢) صحيح مسلم (كتاب الإيمان/باب إثبات رؤية المؤمنين في الأخرة لربهم (١/١١٢/١٨٠).

(٣) صحيح مسلم (كتاب الإيمان/باب أدنى أهل الجنة منزلة (١/١٢٥/١٩٣).

وفي الحديث الثّابت أنّ من أدعية المؤمنين أن يقولوا: ((وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بِالْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَفِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ))[1]، فهذا من بين الأدلّة الواضحة على أنّه لا بدّ أن يكون هذا أعظم آمالنا: الرّضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت ولذّة النّظر إلى وجهه -سبحانه- والشّوق إلى لقائه، ولا بدّ أن يكون هذا الشّوق صادقًا من غير ضرّاء مُضرّة ولا فتنة مُضلّة، أي ليس هربًا من هذا إنّما شوق مصدره المعرفة، ونحن بحمد الله نُؤمن بهذه العقيدة الّتي دلّت عليها الأدلّة وليس لنا في هذا إلّا الاستسلام للنّصّ.

الكلام مع ربّ العالمين

ومن النّعيم العظيم الّذي يتبع هذا النّعيم: "الكلام مع ربّ العالمين" تكليم الله -عزّ وجلّ- لأهل الجنّة، وقد مرّ معنا في تفسير قوله تعالى: {سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبٍّ رَحِيمٍ}[2] أنّه من كلام الله -عزّ وجلّ- لأهل الجنّة.

وأيضًا في الحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: كما ورد في البخاري: ((إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجنّة: يَا أَهْلَ الجنّة؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا))[3]، فهذا من كلامه -سبحانه وتعالى- مع أهل الإيمان وهم في الجنّة. وقد ورد أيضًا عكس ذلك أنّ الله لا يُكلّم ولا ينظر إلى أقوام فعلوا ذُنوبًا عظيمةً.

---

(١) سنن النّسائي (كتاب السّهو (١٣٠٦/٥٤/٣) حكمه: صحيح.

(٢) سورة يس: ٥٨.

(٣) صحيح البخاري (كتاب الرقائق/باب صفة الجنة والنار (٦٥٤٩/١١٤/٨).

ثانيًا: أعظم من كلّ نعيم!

رضوان الله -سبحانه وتعالى-

أيضًا الكلام حول رضوان الله الّذي مرَّ معنا، فنعيم الجنّة ورضوان الله أمران عظيمان يجب تصوّر الفصل بينهما، بمعنى أنّ:

- النّعيم نوع من رحمة الله ورضوانه.
- لكنّ الرّضوان شيء أعلى منه.

لأنّ الله -سبحانه وتعالى- يقول: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ}[1]، فهذا لعظم شأن الرّضوان وأنّه أفضل من كلّ نعيم وقد مرّ معنا في الحديث. وفي التّوبة يقول تعالى: {وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}[2].

فلو نظرنا إلى سورة آل عمران الّتي بدأ الله فيها بذكر المقرّ هي الجنّة قال تعالى: {لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ} فيحصل الأنس بوجود الأزواج، ثمّ ذكر -سبحانه وتعالى- الأمر الأعظم وهو رضا الله -عزّ وجلّ- وكان رضوان الله أكبر {وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ}، إنّما عظُم وكبُر:

- لأنّ رضاه سبب كلّ فوز وسعادة.
- ولأنّهم ينالون برضاه -سبحانه وتعالى- الكرامة وهي أكبر أصناف الثّواب.

فالعبد إذا علم أنَّ مولاه راضٍ عنه، فهو أكبر في نفسه ممّا يراه من النّعم، وإنّما يَهْنَأُ المُتَهَنِّئُ[1] بالنّعم إذا رضي عنه من يُحبّ، كما أنّ الأمور قد تتنغّص لسخط من يُحبّ، وهذا كلّه دليل على

(١) سورة آل عمران: ١٥.

(٢) سورة التّوبة: ٧٢.

أنّ كلّ النّعيم شيء يسير أمام رضوان الله -عزّ وجلّ- فهذا شيء لا يستطيع النّاس وصفه إلّا أن يقولوا عنه جُملًا ربّما تُقرّب هذا الأمر العظيم ولا تستطيع استيعابه بكلامها، فالوفود الّتي تزور ربّ العالمين ويجلسون حتّى يجلس أدناهم على كثبان مسك هؤلاء قد شعّ من نفوسهم الرّضا والسّعادة وامتلأت به؛ لأنّ الله أحلّ عليها الرّضوان، وهو كما اتّفقنا أمر زائد على النّعيم فلا مطلب لهم أعلى من ذلك، وليس في النّفس أرغب من هذا، فهو الرّغبة العظيمة بل هو منتهى الآمال.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا وكلّ مَن نحبّ في تلك الدّار العظيمة! الّتي أعظم النّعيم فيها رؤيته، وأكبر العطايا رضوانه، وخير ما يُنتظر لقاؤه، فنسأل الله -عزّ وجلّ- أن نكون جميعًا من أهل تلك الدّار وأن ينفعنا بالقرآن ويرفعنا به، وأن لا تكون علينا هذه الأعمار حسرات، بل نرجوه أن تكون بركات. نسأل الله بمنّه وكرمه أن يبارك لنا في أعمارنا، وأوقاتنا، وأَفْهامِنا وعقولنا، وأبصارنا، وأسماعنا، فنُمتّع بهذا كلّه في "جنّات النّعيم"، اللّهمّ آمين.

سبحانك اللّهمّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك.

انتهت اللّقاءات ولله الحمد.

(١) شرح معنى تَهَنّأَ في معجم المعاني الجامع، تَهَنّأَ: (فعل)، تهنَّأَ بـ، فهو مُتهنِّئ. تَهَنَّأَ الرَّجُلُ : كَثُرَ عَطَاؤُهُ.

خلاصة الخاتمة (أعظم نعيم الجنّة وأعظم من كلّ نعيم!)

الحمد لله، رُزقنا من العلم في خاتمة هذه اللّقاءات المباركة أنّ:

أوّلًا: (أعظم نعيم الجنّة!):

رُؤية ربّ العالمين: هذا هو أعظم نعيم يتنعّم به أهل الجنّة. حصول الرُّؤية مبنيّ على العمل: الصّلاة (خاصّةً صلاة الفجر، وصلاة العصر)، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله سبحانه وتعالى.

الكلام مع ربّ العالمين: وهذا من النّعيم العظيم الّذي يتبع هذا النّعيم: تكليم الله -عزّ وجلّ- لأهل الجنّة.

ثانيًا: (أعظم من كلّ نعيم!):

رضوان الله سبحانه وتعالى: نعيم الجنّة ورضوان الله أمران عظيمان يجب تصوّر الفصل بينهما: فنعيم الجنّة نوع من رحمة الله ورضوانه، لكنّ الرّضوان شيء أعلى منه، فهو أمر زائد على النّعيم لأنّ رضاه سبب كلّ فوز وسعادة، ولأنّ أهل الجنّة ينالون برضاه -سبحانه وتعالى- الكرامة وهي أكبر أصناف الثّواب.

نسأل الله بمنّه وكرمه أن يجعلنا وكلّ مَن نحبّ في تلك الدّار العظيمة! الّتي أعظم النّعيم فيها رؤيته، وأكبر العطايا رضوانه، وخير ما يُنتظر لقاؤه.

الحمد لله الّذي بنعمته تتمّ الصّالحات.

المحتويات

اللّقاء الأوّل ٥

التّمهيد: مدخل إلى تشويق النّفس إلى الجنّة ٧

المبحث الأوّل: أسماء الجنّة ١٢

اللّقاء الثّاني ١٨

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة ١٩

اللّقاء الثّالث ٣٠

تابع المبحث الأوّل: أسماء الجنّة ٣١

المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة ٤٠

اللّقاء الرّابع ٤٧

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة ٤٨

اللّقاء الخامس ٥٧

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أشجارها وثمارها ٥٨

اللّقاء السّادس ٦٧

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أشجارها وثمارها ٦٨

اللّقاء السّابع ٧٨

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أنهارها وعيونها ٧٩

اللّقاء الثّامن ٩١

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أنهارها وعيونها ٩٢

اللّقاء التّاسع ١٠٢

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: قصورها وغُرفها وخيامها ١٠٣

اللّقاء العاشر ١١٤

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة ١١٥

اللّقاء الحادي عشر ١٢٢

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: آنيتها وأكوابها وكؤوسها ١٢٣

اللّقاء الثّاني عشر ١٣٥

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: أثاث أهل الجنّة وفرشها ١٣٦

اللّقاء الثّالث عشر ١٤٧

تابع المبحث الثّاني: أوصاف الجنّة: سوق أهل الجنّة ومناخها والعوامل المؤثّرة في الزّيارة ١٤٨

اللّقاء الرّابع عشر ١٦٠

الخاتمة: أعظم نعيم الجنّة وأعظم من كلّ نعيم! ١٦١

المحتويات ٠

نسأل الله بمنّه وكرمه
أن يجعلنا وكلّ مَن نحبّ
في تلك الدّار العظيمة،
الّتي أعظم النّعيم فيها رؤيته،
وأكبر العطايا رضوانه،
وخير ما يُنتظر لقاؤه!